مفهوم أسباب النّزول عند العلاّمة ناصر سبحاني (١٩٥١-١٩٩٠م)

م. م. نعمان محمّد ألماس– جامعة التنمية البشرية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

مقدّمة

الحمد لله الذي بنعمه تتمُّ الصَّالحات، والصَّلاة والسَّلام على من أنزل عليه خاتم رسالات الله، وعلى الصَّحابة والتَّابعين، فكانوا بحقٍّ ترجمان القرآن في قولاً و عملاً، وعلى كلّ مَنْ سلك نهجهم واهتدى بهديهم إلى قيام السَّاعة.

فالإهتمام بالقرآن الكريم وتفسيره والعلوم المتّصلة به من أهمّ مظاهر الإهتمام بالدين الإسلامي، ومنذ عصر الإسلام الأوَّل ومكتبة التَّفسير وعلوم القرآن تزداد غنىً وضخامة، حتَّى غدونا نملك تراثاً زاخراً بالمصنّفات المتنوّعة في هذا المجال. وقد قام بهذا الأمر الجلل أناس أخلصوا دينهم لله، من أقوام وشعوب شتّى، وكان نصيب الشّعب الكوردي في هذا العمل ليس بقليل.

يعدّ علم أسباب النّزول فرعاً مهمّاً من فروع علوم القرآن، وهو علم اهتمّ به العلماء الأوائل للوقوف على الواقع الزّماني و المكاني و المعيشي الّذي نزلت فيه آيات القرآن الكريم، وهو بذلك يعين المفسّر أو الدّارس لكتاب الله على فهم الآيات و مدلول ألفاظها، وبذلك أصبح موضع تأكيد و اهتمام العلماء على مرّ العصور. لكن على الرّغم من أهميّة هذا العلم، إلاّ أنّه لم يكن يخلو من إشكاليات تطرّق اليها العلماء القدامى منذ ظهور الإهتمام به و بداية التصنيف فيه، ولم تكن الإشكاليات تنتهي بمرور الوقت و قدم الزمن، بل ظهرت تحديات و مشاكل جديدة تلوح من هنا و هناك.

أهمية البحث:

تكمن أهميّة البحث، كونها تعالج مسألة من المسائل المتعلّقة بالقرآن في هذا الظّرف المكتظ بالنّقاش و الجدل، فجاء هذا البحث لعرض ومناقشة فكرة متكاملة، وطرح علمي أبداه أحد العلماء الكورد وهو العلامة ناصر سبحاني، حيث يهدف من خلاله معالجة بعض الإشكاليات حول موضوع أسباب النزول، وهو يحاول التّوازن بين الإستفادة من الموروث العلمي، من جانب وإعمال العقل و تعمق النّظر في فهم القرآن من جانب آخر.

السّبب في اختيار الموضوع:

والسّبب الّذي دفع بالباحث إلى اختيار هذا الموضوع، اهتمامه بالمسائل المرتبطة بعلوم القرآن الكريم، الّتي أصبحت محور نقاشات وسجّالات تتطلّب النّظر الدّقيق و الجواب العميق، و لكون أفكار العلامة سبحاني جديرة بالأخذ بها والإلتفات إليها في بعض من هذه المسائل. ومع أهميّة آرائه، لكنّ أغلبها لم تدرس و لم تناقش كما ينبغي في

بحوث و دراسات علميّة. وبذلك يعمد البحث إلى إظهار رأي سبحاني حول أسباب النّزول، الّذي بات مطويّاً في اسطوانات مسجّلة حتّى الآن. وهو الهدف من البحث أيضاً.

المنهج المتبع في البحث:

يتطلب البحث التركيز أوّلاً على عرض آراء سبحاني بأمانة، وذلك بتفريغ محاضراته الصّوتية بشكل دقيق والإشارة إلى نهاية الوقت عند الاقتباس من أقواله نصّاً، أو الاشارة من بداية الوقت إلى نهايتها إن طال الكلام المقتبس. أو عند القيام بصياغة كلامه مختصراً. حاول الباحث قدر الإمكان بمناقشة أفكاره ومقارنته بآراء وأفكار الآخرين، و بذلك يكون المنهج المتبع يتمثل في التوثيق و التّحليل و المقارنة.

كما يجب الإشارة إلى الإكتفاء بعرض مختصر لحياته ضمن هذه المقدمة، لأنّ بعض الدّراسات قامت بذلك باللغة العربيّة. [١] إضافة إلى إصدار كتاب مستقلّ حول حياته باللغة الكوردية.[٢]

آثار العلاّمة سبحاني في أسباب النّزول:

يمكن تحديد آثاره بصورة اساسيّة في ثلاثة أعمال: الأوّل والأهمّ هو محاضراته الصّوتية المسجّلة على الأشرطة حول (أسباب النّزول)، باللغة العربيّة، ولم تنقل حتّى الآن إلى كتاب.[٣] والثاني: كتابه بالفارسيّة (مقدمه ى تفسير برخى سوره هاى قرآن: مقدمة لتفسير بعض السّور في القرآن) طبع حديثاً.[٤] و محاضراته بالكورديّة حول (الدّعوة) الّتي تمّ نقلها إلى كتاب مطبوع قبل سنوات باسم: (**بانگەواز و قۆناغەكانى بانگەواز**: الدعوة و مراحل الدّعوة). [٥]

---

(١) البنجويني، أبوبكر محمد أمين. الشيخ ناصر السبحاني و جهوده العلمية والدعوية. السليمانيّة: مطبعة بينايي، ط١، ٢٠٠٩م. وهو في الأصل رسالة ماجستير في الدّراسات الإسلاميّة، في بغداد، سنة ٢٠١٠م. و عبدالعزيز، عمر. العلامة ناصر سبحاني وجهوده الدّعويّة والإصلاحيّة. أطروحة دكتوراه في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلاميّة، سنة ٢٠١٣م. (غير منشور). و خضر، لقمان صمد. آراء ناصر سبحاني في الحديث وعلومه، رسالة ماجستير في قسم العلوم الإسلامية بمعهد العلوم الاجتماعيّة/ جامعة يوزنجو ييل. (وان- تركيا) سنة ٢٠١٦. غير منشور.

(٢) عبدي، عبدالله عبدالعزيز. (سيرة علامة كوردستان الكبير ناصر سبحاني) **زانای گەورەی كوردستان مامۆستا ناصری سوبحانی. سلێمانی: (بەبێ ناوی چاپخانە) چاپی یەكەم، ٢٠٠٨ز.**

(٣) سبحاني، ناصر. محاضرات في أسباب النزول. كرمانشاه- إيران، مسجّلة على شريطين من نوع تسعين دقيقة. (بلا تأريخ): الزّمن المستغرق للمحاضرة بالكامل هو : (٠٢:٥٦:٥٣) ساعتان و ست و خمسون دقيقة و ثلاث و خمسون ثانية. وقد تمّ نقلها إلى الكمبيوتر، وانتظمت في جزأين. الجزء الأوّل عبارة عن (٩٠:٠٢) تسعين دقيقة و ثانيتين، و الجزء الثاني عبارة عن: (٨٦:٥١) ستّ و ثمانين دقيقة و وإحدى وخمسين ثانية.

(٤) سبحاني، ناصر. مقدمه ى تفسير برخى أز سوره هاى قرآن. تهران: نشر احسان، **چاپ١**، ٢٠١٦م.

(٥) **سوبحانى، ناصر. بانگەوازو قۆناغەكانى بانگەوازكردن. ئا: ئارام محمد و سەروەت عبدالله. سلێمانى: چاپى يەكەم، ٢٠١١ز.**

الدّراسات السّابقة:

هناك دراسة سابقة لهذا الموضوع، فقد تطرّق الباحث (د. عمر عبدالعزيز بهاء الدّين) في جزء من أطروحته للدّكتوراه إلى هذا الموضوع بشكل مختصر تحت عنوان: (رأي العلاّمة ناصر سبحاني في أسباب النّزول).[١]

نبذة من حياة سبحاني: [٢]

هو ناصر محمّد رشيد سبحاني، ولد عام ١٩٥١ في قرية (دوريسان) التابعة لمدينة (باوه) في كوردستان – إيران. وبعد إكمال المرحلة المتوسطة من الدراسة، تحول إلى دراسة العلوم الشّرعيّة ودرس على يد العلماء الكبار في إيران ثمّ حصل على الإجازة العلمية.

كان سبحاني من المهتمّين بتفسير القرآن الكريم و علومه، ويعدّ من كبار روّاد الصحوة الإسلامية في إيران، إذ لعب دوراً كبيراً في تربية جيل ملتزم و واع في آن واحد، كما ساهم في نشاطات إسلامية كثيرة مع الرّمز الإسلامي الشّيخ (أحمد مفتي زاده).

سافر إلى خارج إيران عدة مرات، منها سفره إلى باكستان مرّتين، كما قام بالسّفر إلى تركيا عام ١٩٨٨، حيث شارك في المؤتمر التأسيسي لمنظمة (الرابطة الإسلامية الكردية) المنعقد في اسطنبول آنذاك.[٣]

بسبب المظالم الموجودة في بلاده، كان مختفيا مطاردا طيلة عقد من الزّمان، وهو مشتغل بدراساته في العلوم الإسلاميّة، إلى أن اعتقل في حزيران ١٩٨٩ في مدينة سنندج عاصمة إقليم كردستان إيران وبقي في السّجن قرابة عام. وقد تواترت عنه الأنباء بأنه كان طيلة بقائه في السجن صابرا محتسبا مقاوما مدافعا عن آرائه واجتهاداته، إلى أن أعلنت السلطات الإيرانية خبر وفاته محكوما بالإعدام دون توجيه أيّ تهمة معلنة في يوم عيد الأضحى المبارك سنة ١٩٩٠.

ترك العلامة بعد وفاته آثاراً واسعة، يمكن تصنيفها إلى مجموعتين: المؤلّفات، وهي عبارة عن عشرة كتب، والمحاضرات الصّوتيّة المسجّلة، و تشكّل أغلب آثاره. وقد ألقى تلك المحاضرات باللغات الثلاث: (الكوردية، العربية، الفارسيّة) نظراً لتركيبة إيران القوميّة، و قد تمّ تحويل بعض هذه المحاضرات إلى كتب مطبوعة.

خطّة البحث: يتألف هذا البحث من مقدمة و خاتمة ومبحثين:

---

(١) عبدالعزيز، عمر. العلامة ناصر سبحاني وجهوده الدّعويّة والإصلاحيّة. مصدر سابق. (٣١١-٣١٦).

(٢) للمزيد حول حياة سبحاني، يمكن الرجوع إلى المصادر السّابقة الذّكر: ١- البنجويني، أبوبكر محمد أمين. الشيخ ناصر السبحاني و جهوده العلمية والدعوية. ٢- عبدالعزيز، عمر. العلامة ناصر سبحاني وجهوده الدّعويّة والإصلاحيّة. ٣- خضر، لقمان صمد. آراء ناصر سبحاني في الحديث وعلومه. ٤- **زانای گەورەی کوردستان مامۆستا ناصری سوبحانی. سلێمانی: (بەبێ ناوی چاپخانە) چاپی یەکەم، ٢٠٠٨ز.**

(٣) مؤسسة خيرية انسانية تنموية تأسست عام ١٩٨٨ علي يد نخبة من المثقفين الكرد وعلي رأسهم الدكتور علي محي الدين القرداغي، واتخذت لنفسها جملة من الاهداف لخدمة المنطقة من خلال مجالاتها المتنوعة. دخلت الي العراق عام ١٩٩٢م وفتحت لها فروعا في بعض المدن الكوردستانيّة. (من موقع الرابطة على الإنترنت: http://ar.iklcharity.org/2015/02/blog-post_53.html#more) بتصرّف.

المبحث الأول يتناول مفهوم أسباب النّزول، في اللغة و الإصطلاح، وطريقة معرفتها صيغ التعبير عن أسباب النّزول، وأقسام القرآن الكريم بحسب النّزول في المطلب الأوّل، كما يتعرضّ في المطلب الثّاني إلى فوائد أسباب النّزول، ثمّ كيفيّة التصنيف فيها و الإنتقادات الموجّهة لتلك المصنّفات .

والمبحث الثاني يتناول مفهوم أسباب النّزول لدى العلامة سبحاني، ففي المطلب الأوّل يتعرض لمفهوم اسباب النّزول بصورة عامّة في الكتب والرّسالات السّماوية، ثمّ أسباب النّزول لآيات القرآن. و في المطلب الثّاني يتطرّق لطرق معرفة أسباب النزول و أهميتها في رأي سبحاني، و ملاحظات سبحاني على الكتب المصنّفة فيها. و خصّص الباحث الخاتمة للنتائج التي توصل إليها من خلال البحث.

المبحث الأوّل

مفهوم أسباب النّزول وفوائدها

المطلب الأوّل : مفهوم أسباب النّزول

الفرع الأوّل: أسباب النزول لغة واصطلاحاً:

أوّلاً: سبب النزول لغة: مركّب إضافي مكون من كلمتين: السّبب و النزول:

وَ (السَّبَبُ) لغة : كلّ شيء يُتوصَّل به إلى غيره. و يأتي بمعنى القرابة والمودة والطّريق و الباب. جاء في التَّنْزِيل الْعَزِيز تارة بمعنى الطريق كما في الآية: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ {الكهف: ٨٤ } وتارة بمعنى الباب كقوله: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ غافر: ٣٦} أَي أبوابها، ومنه قول زهير: وَلَو نَالَ أَسبَاب السَّمَاء بسلم أَي أَبْوَابهَا، وأسْبابُ السماءِ: مَراقِيها أو نَواحيها أو أبوابُها. و تارة بمعنى الحبل، كقوله : ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ {الحج: ١٥} يعني بحبل من سقف البيت.(١)

و النزول: في الأصل هو انحطاط من علوّ. يقال: نَزَلَ عن دابَّته، ونَزَلَ في مكان كذا: حَطّ رَحْلَهُ فيه، وأَنْزَلَهُ غيرُهُ. قال تعالى: ﴿أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ {المؤمنون: ٢٩} ونَزَلَ بكذا، وأَنْزَلَهُ بمعنًى، و إنزال الله تعالى نِعَمَهُ ونِقَمَهُ على الخلق، وإعطاؤُهُم إيّاها، وذلك إمّا بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن، وإمّا بإنزال أسبابه والهداية إليه، كإنزال

(١) أنظر: ابن منظور الإفريقى، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤ هـ . (١/ ٤٥٨). و – الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة، ط٨، ٢٠٠٥ م. (– ٩٦). و– الرّازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. مختار الصحاح. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. بيروت – صيدا: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ط٥، ١٩٩٩م. (– ١٤٠). و– مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. القاهرة: مكتبة الشّروق الدّولية، ط٤، ٢٠٠٤م. (– ٤١١).

الحديد واللّباس.[١] ويأتي لفظ النّزول بمعنى: الحلُول، وقد نزلهم ونزل عليهم ونزل بهم ينزل نزولاً ومَنزلاً و المنْزِل، وما هيّئ للضّيف أن ينزل عليه.[٢]

ثانياً: سبب النّزول اصطلاحاً:

عندما يتصفح المرء آثار المتقدمين من العلماء، لا يحصل على تعريف واضح و محدّد لهذا المصطلح، ويمكن القول أنّ العلماء القدامى لم يروا حاجة في تعريف سبب النزول كمصطلح، نظراً لبداهته و شدّة وضوحه لديهم، لكنّنا نرى البداية لتعريفه عند المتأخرين، فإذا نظرنا إلى السّيوطي نرى أنّه يقول في تعريفه: "والّذي يتحَرّر في سبب النّزول أنّه ما نزلت الآية أيّام وقوعه." [٣]

و عرّفه الزّرقاني بقوله: " سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أنّه مبينة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النّبي (ﷺ) أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال".[٤]

كما قام الشيخ صبحي صالح بتعريفه قائلاً: "ما نزلت الآية أو الآيات بسببه متضمنة له أو مجيبة عنه أو مبينة لحكمه زمن وقوعه"، وهو ما عبرنا عنه بـ"سبب النزول".[٥]

فممّا سبق من التعريفات نعرف أنّ " سبب النزول يكون قاصرا على أمرين: أحدهما: أن تحدث حادثة فينزل القرآن الكريم بشأنها كما في سبب نزول ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ {المسد : ١} الثاني: أن يُسْأل الرسول (ﷺ) عن شيء فينزل القرآن ببيان الحكم فيه كما في سبب نزول آية اللعان ".[٦]

كما يمكن القول بأنّ أسباب النزول هي الوقائع أو الأحداث الّتي سبقت نزول آية أو آيات من القرآن، فجاءت تلك الآيات لمعالجة تلك الأحداث. وهذا إن دلّ على شيء فإنّه يدلّ على أنّ القرآن تتميّز بالواقعيّة و التماشي مع التطوّرات الّتي تحدث في حياة الفرد و المجتمع شيئاً فشيئاً حتى يكون المسلمون قد حصل فيهم الإستعدداد لتنفيذ ما أنزلها الله من الآيات. و لذلك نزل القرآن منجماً و لم يكن ينزل دفعة واحدة. و قد قال الله سبحانه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ

(١) الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق- بيروت: دار القلم والدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ . (٧٩٩).

(٢) ابن منظور. لسان العرب، مصدر سابق. (١١/ ٦٥٦)، و الفيروزآبادى. القاموس المحيط. مصدر سابق. (- ١٠٦٢).

(٣) السّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (بلا عدد الطّبع)، ١٩٧٤م. (١/ ١١٦).

(٤) الزّرْقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي. بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٥م. (١/ ٨٩).

(٥) الصّالح، صبحي. مباحث في علوم القرآن. بيروت- لبنان: دار العلم للملايين، ط٢٤، ٢٠٠٠م. (- ١٣٢).

(٦) الوادعي، مُقبل بن هادي. الصحيح المسند من أسباب النزول، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط٤، ١٩٨٧م. (- ١٣).

عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ ﴿ ثج {الإسراء: ١٠٦} و يقول أيضاً: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ ﴾ {الفرقان: ٣٢}.

فالسبب في تفرق نزول القرآن ليس التّسهيل على النّبي (ﷺ) كونه أمياً حتى يتمكّن من حفظ الآيات شيئاً فشيئاً فقط، فإنّ في قدرة الخالق إِذَا نُزِّلَ جُمْلَةً أَنْ يَحْفَظَهُ النَّبِيُّ (ﷺ) دُفْعَةً واحدة، لكنّ الأمر يتعلّق بالنّاس أيضاً، و لأنّ في القرآن ما هو جواب عن سؤال وفيه إما هو نكارٌ عَلَى قَولٍ قِيلَ أَو فعلٍ فُعِلَ و لأنّ منه النَّاسخ و المنسوخ، ولا يتأتى ذلك إلاّ فيما أُنزل مفرّقا.(١)

الفرع الثّاني: طريقة معرفة أسباب النزول:

الطريقة الّتي يمكن بها التعرّف على سبب نزول الآية، النّقل الصحيح أو صحّة الرواية عن أصحاب رسول الله (ﷺ)، يقول الواحدي: " ولا يَحِلُّ الْقَوْلُ فِي أَسْبَابِ نُزُولِ الْكِتَابِ، إِلَّا بِالرِّوَايَةِ وَالسَّمَاعِ مِمَّنْ شَاهَدُوا التَّنْزِيلَ وَوَقَفُوا عَلَى الْأَسْبَابِ، وَبَحَثُوا عَنْ عِلْمِهَا وَجَدُّوا فِي الطِّلَابِ".(٢)

والذين شاهدوا التنزيل هم الصّحابة رضي الله عنهم، وهم على مستوى عال من الدّقة و الحرص ما يجعلهم يتورعون عن الخوض فيما لا يعلمون، إضافة إلى اهتمامهم الشديد بعلم القرآن و فهمه، وقد روي عن عبد الله بن مسعود قوله: ((وَاللَّه الّذي لا إله غيره، ما أُنزلت سورة من كتاب اللّه إلّا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أُنزِلت آية من كتاب اللَّه إلاّ أنا أعلم فيم أُنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم منّي بِكتاب اللّه، تُبلِّغه الإبل لركبت إليه)).(٣)

إضافة إلى أنّه لا توجد طريقة أخرى غيرها يمكن الإعتماد عليها، فالمعوّل عليه هنا هو الرواية الصحيحة عن الصحابة، فالمسألة لا تدخل في باب الإجتهاد و الرّأي و إنّما تتمّ الإقتصار على المشاهدة و المعايشة، و هذه إنّما حصلت للصحابة دون غيرهم ولذلك عدّت الأحاديث الموقوفة على الصحابة في أسباب النزول في حكم المرفوع، يقول

(١) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٩٥٧ م. (٢٣١/١) و السيوطي، الإتقان. مصدر سابق: (١٥١/١-١٥٢)

(٢) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري. أسباب النزول. تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. الدّمام: دار الإصلاح، ط٢، ١٩٩٢ م. (- ١٠).

(٣) رواه البخاري (كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النّبي(ﷺ)) رقم الحديث: (٥٠٠٢) . البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) و سننه و أيّامه (صحيح البخاري). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة. ط١، ١٤٢٢هـ.(٦/ ١٨٧). و مسلم (كتاب فضائل الصّحابة، باب من فضائل عبدالله بن مسعود و أمها) رقم الحديث: (٢٤٦٣). النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (بلا عدد الطبع و التأريخ). (٤/ ١٩١٣). و أورده الطبري بلفظ: تنالُه المطايا لأتيته. أنظر: الطّبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠ م. (١/ ٨٠).

ابن صلاح: " ما قيل من أنّ تفسير الصّحابيّ حديث مُسند، فإنّما ذَلك في تفسير يتعلّق بسبب نزول آية يخبر به الصّحابِيّ أو نحو ذلك، كقول جابر رضي اللّه عنه: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دُبُرِها في قُبُلِها جاء الولد أحول، فأنزل اللّه عزّ وجلّ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ {البقرة: ٢٢٣} الآية. فأمّا سائر تفاسير الصّحابة الّتي لا تشتمل على إضافة شيء إلى رسول اللّه (ﷺ) فمعدودة في الموقوفات." (١)

و بناءً عليه " فإن روي سبب النزول عن صحابي فهو مقبول وإن لم يعتضد أي لم يعزز برواية أخرى تقويه. وذلك لأن قول الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه حكمه حكم المرفوع إلى النبي (ﷺ) لأنه يبعد كل البعد أن يكون الصحابي قد قال ذلك من تلقاء نفسه على حين أنه خبر لا مرد له إلا السماع والنقل أوالمشاهدة والرؤية".(٢)

وإن روي سبب النّزول عن تابعي (حديث مرسل)، فيشترط لقبوله ثلاثة شروط: الأوّل: أن يكون الإسناد صحيحاً. الثاني: أن يكون التّابعي من أئمة التّفسير الآخذين عن الصّحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير. الثّالث: أن يعتضد بمرسل آخر، أي رواية تابعي آخر فيها نفس الشّروط.(٣)

الفرع الثّالث: أقسام القرآن بحسب النّزول

ذهب العلماء إلى انّ القرآن بحسب النزول ينقسم إلى قسمين: " قسم نزل ابتداء و قسمٌ نزل عقب واقعة أو سؤال.(٤) فالقسم الأوّل هو ما نزل ابتداءً غير مرتبط بسبب خاص، و إنما نزل لمحض هداية الخلق إلى الحق. أمّا القسم الثّاني فهو إنّما نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة". (٥)

أمّا ما روي عن بعض الصحابة من أقوال يفهم منها أنّهم يعرفون السبب لنزول جميع الآيات القرآنية، " ينبغي ألا تؤخذ بمعناه الحرفي حتى ولو أقسم أحدهم على هذا، فإما أنهم يريدون به — على طريقة العرب في المبالغة- تأكيد عنايتهم بهذا الكتاب الكريم، ، وتتبعهم كل أمر يتصل به". (٦)

---

(١) ابن الصلاح الشهرزوري، عثمان بن عبد الرحمن أبوعمرو تقي الدين. كتاب علوم الحديث (المعروف بمقدمة ابن الصلاح). تحقيق: نور الدين عتر. سوريا: دار الفكر- بيروت: دار الفكر المعاصر، (بلا عدد الطّبع)، ١٩٨٦م. (- ٥٠).

(٢) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن. مصدر سابق. (١/ ١١٤).

(٣) أنظر: السّيوطي، الإتقان. مصدر سابق. (١/١١٧) .

(٤) المصدر نفسه. (١/ ١٠٧)

(٥) انظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن. مصدر سابق (١/ ١٠٦). و: الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النّزول. مصدر سابق. (-١٩).

(٦) الصالح، صبحي. مباحث في علوم القرآن. مصدر سابق. (-١٣٣).

المطلب الثّاني:

فوائد معرفة أسباب النّزول و الإنتقادات حول الكتب المصنّفة في هذا العلم

الفرع الأوّل: فوائد معرفة أسباب النزول

معرفة أسباب النّزول تفيدنا بفوائد كثيرة منها:

أوّلاً: تفسير الآية: ذهب الواحدي إلى أنّه يمتنع على المرء معرفة تفسير الآية " دون الوقوف على قصّتها وبيان نزولها".(١) و يقول ابن دقيق العيد: " بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن".(٢) وقال ابن تيمية: معرفة سبب النُّزُول يُعِين على فهم الآيَة فَإِنَّ العِلم بِالسَّبب يُوَرِّثُ العلم بِالْمُسَبَّب.(٣) و من الأمثلة على ذلك تفسير كلمة الإيمان بـ (الصّلاة)، في آية ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ {البقرة: ١٤٣}، كما أورده الطبري في تفسيره، بناء على ذكر روايات في سبب نزول الآية.(٤)

ثانياً: إزالة الغموض و ورفع الإشكال عن معنى الآية: يقول الشّاطبي: "..أنَّ الجهل بِأَسبابِ التّنزيل مُوقِعٌ فِي الشُّبَهِ والإشكالات، وَمُورِدٌ لِلنُّصُوصِ الظّاهرة مَوْرِدَ الإجمال حتّى يقع الاختلاف، وذلك مَظِنَّةُ وُقُوع النّزاع".(٥) ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره المفسرون(٦) و أصحاب الحديث السبب لنزول آية ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ {آل عمران: ١٨٨}، حيث ذكروا أنّ مروان بن حكم أشكل عليه معنى الآية فقال: لئن كان كلّ امرئ فرح بما أوتي، وأحبّ أَن يحمد بِما لم يفعل مُعَذبا، لنعذّبنَّ أجمعون، فقال ابن عبّاس: ((...ما لكم و لهذه إِنَّمَا دعا النَّبِيُّ (ﷺ) يهود فسألهم عن شيء فكتموه إيّاه، وأخبروه بغيره فأرَوه أن قد استحمدوا إليه، بما أخبروه عنه فِيما سَأَلَهُمْ، وفرحوا بِمَا أوتوا من كِتمانهم...)).(٧)

---

(١) الواحدي، أسباب النّزول. مصدر سابق (- ١٠٨)

(٢) نقله السيوطي، أنظر: الإتقان، مصدر سابق. (١٠٨/١).

(٣) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد الحرّاني. مقدمة في أصول التفسير. بيروت-لبنان: دار مكتبة الحياة، (بلا عدد الطبع)، ١٩٨٠م. (-١٦).

(٤) الطّبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. مصدر سابق.(١٦٧/٣).

(٥) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي. الموافقات في أصول الشّريعة. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧م. (٤/ ١٤٦).

(٦) على سبيل المثال أنظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤م. (٤/ ٣٠٦)

(٧) رواه البخاري في صحيحه، (كتاب تفسير القرآن، باب: لا يحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا) رقم الحديث: (٤٥٦٨). مصدر سابق. سابق. (٦/ ٤٠).

ثالثاً: سبب النزول تبين الحكمة الدّاعية إلى تشريع الحكم: ومن الأمثلة على ذلك: ما ذكره مسلم في صحيحه أنّه سئل ابنُ جبير ابنَ عمرَ عن الْمتلاعنان أيفرّق بينهما؟ قال: سبحان الله، نعم، إنّ أوّل من سأل عن ذلك فلان بن فلان، قال: يا رسول الله، أرأيت أن لو وجد أحدُنا امرأته على فاحشة، كيف يصنع إن تكلّم تكلّم بأمر عظيم؟ وإن سكت سكت على مثل ذلك، قال: فسكت النّبِيّ (ﷺ) فلم يجبهُ، فلمّا كان بعد ذلك أتاه، فقال: " إنّ الّذي سألتك عنه قد ابتليتُ به، فأنزل الله عزّ وجلّ هَؤلاء الآيَات في سورة النّور: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ {النور: ٦ }[١]

وقد ذكر العلماء و الباحثون فوائد أخرى لا يتّسع المقام لذكرها و إيراد الأمثلة لها، منها: تخصيص الحكم بالسبب الذي نزل من أجله عند من يرى تخصيص الحكم بالسّبب، ودفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر، و معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا يشتبه بغيره فيتهم البريء ويبرأ المريب، و تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها. [٢]

الفرع الثاني: التّصنيف في هذا العلم والانتقادات الموجهة إليه

ترجع العناية بأسباب النّزول إلى القرن الثاني للهجرة، حينما قام العلماء آنذاك بتدوين السّنّة في مجاميع و مصنّفات، وكان معظمها يضمّ الحديث الشّريف و فتاوى الصّحابة و التّابعين – بما فيها روايات أسباب النّزول–، كما يتجلّى ذلك في كتاب الموطّأ.[٣]

إضافة إلى المصنّفات الحديثية، جُمعت روايات أسباب النزول في كتب التّفسير، ويعدّ تفسير الطبري (ت:٣١٠هـ) من أضخم المدونات في التفسير، فقد رجع إليه ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) في (العجاب) أكثر من (٦٠٠) مرة.[٤] ثمّ تسللت أخبار النزول إلى كتب التفسير التي جاءت بعده، و تعدّ كتب التّفسير من أهمّ المصادر الّتي تحوي روايات أسباب النّزول. ثمّ ظهرت بعد ذلك مؤلّفات مستقلة بأسباب النّزول، قيل أنّ أوّل من صنّف فيها هو علي بن المديني

(١) رواه مسلم (كتاب الطّلاق، باب انقضاء عدّة المتوفى عنها زوجها وغيرها بوضع الحمل)، رقم الحديث (١٤٩٣). مصدر سابق. (١١٣٠/٢).

(٢) للمزيد أنظر: السيوطي، الإتقان. مصدر سابق، (١/ ١٠٧-١١٠)، و الزرقاني، مناهل العرفان. مصدر سابق، (١/ ١٠٩- ١١٣) وانظر أيضاً: المزيني، خالد بن سليمان. المحرّر في أسباب نزول القرآن. السعودية – الدمام: دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٩ هـ. (١/ ٢٦- ٣٧).

(٣) انظر: العراقي، محمّد بن أسعد. أسباب النّزول و القصص الفرقانيّة. دراسة و تحقيق: د. عصام أحمد أحمد غانم. السّعودية- الرّياض: الرّياض: مكتبة الرّشد- ناشرون، ط١. (بلا تأريخ). (٦٧/١) من دراسة المحقق. و أيضاً: المزيني، خالد بن سليمان. المحرّر في أسباب نزول القرآن. مصدر سابق (٣٨/١-٤٤).

(٤) أنظر: العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. العجاب في بيان الأسباب. تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس. السّعودية-الدّمام: دار ابن الجوزي. (بلا عدد الطّبع والتأريخ).. (٢٠/١). من دراسة المحقّق.

(ت: ٢٣٤) شيخ البخاري، وأشهرها كتاب الواحدي (ت: ٤٦٨).[١] و منها أيضاً -العجاب في بيان الأسباب لإبن حجر، و لباب النقول للسيوطي، و غيرها.

ومع هذا الإهتمام بعلم سبب النزول، لكنّه شأنه شأن كلّ العلوم، أصابها ما أصابها من نقص و تضارب وضعف في مادتها، لكنّنا نختصر القول هنا بالإشارة إلى ملا حظتين في مادة هذا العلم الجليل.

الملاحظة الأولى: جمع الروايات دون تمحيص وتدقيق:

أشار المحقّقون من العلماء أنّ أحاديث سبب النّزول غالبها مُرسل ليس بمُسند، يقول ان تيميّة: قال الإمام أحمد بن حنبل: ثلاث علوم لا إسناد لها – و في لفظ: ليس لها أصل -: التّفسير، و المغازي، و الملاحم، يعني أنّ أحاديثها مُرسلة.[٢]

أمّا التّساهل في نقل الرّوايات في التفسير و التأريخ، فهذا ما أكّده ابن خلدون، يقول: " وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة..".[٣]

وأمّا روايات أسباب النّزول فقد " أَولع كثيرٌ من المفسّرين بتطلّب أَسباب نزول آي القرآن، وهي حوادث يُروى أَنّ آيات من القرآن نزلت لأجلها لبيان حكمها أو لحكايتها أَو إنكارها أَو نحو ذلك، و أَغربوا في ذلك وأَكثروا...". [٤] و لذلك " دخل كمّ كبير من الرّوايات الّتي لا تصمد أمام البحث، وقصص يبدو عليها تكلّف كبير". [٥] ولهذا أكد علماء القرآن على أنّ علم أسباب النزول لا طريق لمعرفته إلا النقل الصّحيح.

الملاحظة الثانية: عدم تحديد المصطلح والمفهوم لأسباب النّزول

بسبب عدم وضوح المفهوم، اختلطت روايات وأقوال بمادة أسباب النّزول، فتارة يعبّر عن التّفسير بالنّزول، و أخرى يعبّر عن التلاوة و القراءة بالنّزول،[٦] وتارة أخرى يعبّر عن الإشتمال بالنّزول، أي أنّ الآية تشمل هذا و ذاك، أو أنّ ذلك داخل في معنى الآية.

---

(١) انظر: السيوطي، الإتقان. مصدر سابق. (١/١٠٧).

(٢) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد الحرّاني. منهاج السنة النبوية. تحقيق: محمد رشاد سالم. السّعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٩٨٦ م. (٧/ ٤٣٥).

(٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (المعروف بمقدمة ابن خلدون). تحقيق: خليل شحادة. بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٩٨٨م. (- ١٣).

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر (بلا عدد الطّبع) ١٩٨٤م. (١/ ٤٦).

(٥) الرشيد، عمادالدين محمد. أسباب النّزول وأثرها في بيان النّصوص. دار الشّهاب،(بلا عدد الطبع) ١٩٩٩م. (-١٦٢).

(٦) انظر: المحرّر في أسباب النّزول، مصدر سابق. (١/٧٢- ٩٨) حيث خُصص مبحثٌ بعنوان: (بواعث الخطأ في أسباب النّزول).

لكن قوام سبب النّزول هو الحادثة الّتي وقعت أيام النبي (ﷺ) و استدعت نزول الوحي عليه (ﷺ) تعليقاً على هذه الحادثة الّتي عاصرت الوحي، فقوام سبب النزول أنّه الواقعة الّتي استنزلت القرآن بالبيان و التعليق على ما حملته من أمور.(١)

إذن، يتوقف معرفة مادة سبب النّزول و يرتكز على أربعة أركان لابدّ من اجتماعها و هي: الحدث الجديد، و الموافقة بين اللفظين: لفظ الآية و لفظ الحديث، سياق الآيات فلابدّ أن تكون الآيات في موضوعها و خطابها غير مخالفة للسبب، ومراعاة التأريخ بين السبب و النزول.(٢)

أمّا من حيث الصّيغة، فهي إمّا أن تكون صريحة في السببية، وإمّا أن تكون محتملة: فتكون نصّاً صريحاً إذا قال الرّاوي: سبب نزول هذه الآية كذا، أو أتى بفاء تعقيبيّة داخلة على مادة النزول بعد ذكر الحادثة او السّؤال، كما إذا قال: حدث كذا أو سئل رسول الله (ﷺ) عن كذا فنزلت الآية.

و تكون محتملة للسببيّة إذا قال الرّاوي: نزلت هذه الآية في كذا، فذلك يراد به تارة أنّه سبب النّزول، و تارة أنّه داخل في معنى الآية.(٣)

يقول إبن تيميّة: " وقولهم: نزلت هذه الآية في كذا، يراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب، كما تقول: عني بهذه الآية كذا". (٤)

(١) الرشيد، عمادالدين محمد. أسباب النّزول وأثرها في بيان النّصوص. مصدر سابق. (- ٢٦).

(٢) المزيني، خالد بن سليمان. المحرّر في أسباب نزول القرآن. مصدر سابق. (١/١١٠-١١٣).

(٣) الوادعي، الصحيح المسند من أسباب النّزول. مصدر سابق. (- ١٧-١٨).

(٤) ابن تيمية،. مقدمة في أصول التفسير. مصدر سابق. (-١٦).

المبحث الثّاني

مفهوم أسباب النزول عند العلامة ناصر سبحاني

المطلب الأوّل : تعريف سبحاني لأسباب النّزول:

الفرع الأوّل: مفهوم سبب النّزول عند سبحاني بشكل عام:

بدأ سبحاني في توضيح رأيه لأسباب النزول بمقدمة عامّة يقسّم فيها الكلام بحسب ارتباطه بالواقع إلى أنواع: فهو يقول: ((إنّ كل كلام يصدر، إنّما يصدر بناء على أنّ هناك حقيقة تقتضي واقعاً ملائماً مناسباً لتلك الحقيقة، فإمّا أن يكون ذلك الواقع قائماً، فيأتي الكلام لتأييده، والدّعوة لإبقائه، وإمّا أن لايكون قائماً فيصدر ذلك الكلام داعياً لإقامته و إقراره، أو يكون واقع آخر غير ملائم و غير مناسب لتلك الحقيقة قائماً، فيصدر الكلام للدعوة إلى إزالته و استبداله بواقع آخر، أو لا يكون ذلك الواقع غير الملائم قائماً، فيصدر الكلام دعوة إلى الإستمرار على هذا. أي إلى عدم التخلية بين الواقع غير الملائم، و بين أن يأتي إلى الوجود، أي يدعى بذلك الكلام أن لا يسمح لذلك الواقع غير الملائم ان يحدث و يقع)).[١]

ذكر سبحاني نظرية حول ارتباط الحقيقة (المعنى الموجود في الكلام) بالواقع (الأرضية والسّياق)، فقبل إصدار الكلام، يجب أن تكون هناك حقيقة ليتمّ التعبير عنها بالكلام، فالكلام هنا يؤدي دور الوسيلة و النّاقل، إذ يقوم بنقل الرسائل إلى الواقع. إنّ كلّ عمليّة إتّصال (خاصّة الإتصال اللغوي) بين طرفين لابدّ أن تحوي عناصر أساسيّة، منها المرسِل و الرسالة و المتلقّي، و الأرضيّة (السّياق)،[٢] فما يمكن أن يقال هنا، أنّ توجيه الوحي من الله إلى الإنسان، جاء بناءً على حقيقة أو حقائق، و موجَّهة في نفس الوقت إلى واقع أو وقائع، يقول بهذا الصدد:

" إنّما يصدر الكلام بناءً على حقيقة و ناظراً إلى واقع، أو بناءً على حقيقة و في ظرف من الواقع، فكما يجب أن يعرف الحقيقة الّتي هي المبنى و الأساس للكلام و المصدر له، كذلك يجب أن يعرف الواقع الّذي هو ظرف الكلام، و المقتضي لصدور الكلام، فإن كان الواقع ملائماً لتلك الحقيقة، يقتضي صدور كلام مؤيّد، وإن كان الواقع غير ملائم، يقتضي صدور كلام داع إلى تغييره".[٣]

---

(١) سبحاني، ناصر. محاضرات في أسباب النزول. كرمانشاه- إيران، مسجّلة على شريطين. و تمّ نقله إلى الكمبيوتر في جزأين (بلا تأريخ): الزّمن المستغرق للمحاضرة: (٠٢:٥٦:٥٣) ساعتان و ست و خمسون دقيقة و ثلاث و خمسون ثانية. الجزءالأوّل. الوقت بالثانية و الدّقيقة :[٠٢:٣٨].

(٢) نظرية التواصل من المسائل الأساسيّة في فلسفة اللغة المعاصرة، وعلى الرّغم من قناعتي بأنّ سبحاني لم يكن مطّلعاً على هذه النّظريّات إلاّ أنّه اقترب من بعضها. ومن الذّين اشتهروا بأعمالهم في هذا المجال (رومان جاكوبسن)، حيث تحدث عن ستّة أركان لعمليّة التواصل اللغوي. للمزيد: انظر بالفارسيّة: أحمدي، بابك. ساختارو تأويل متن. تهران: نشر مركز، ضاث هفتم، (بلا تأريخ). (- ٦٥) وما بعدها.

(٣) سبحاني، ناصر. محاضرات في أسباب النزول. مصدر سابق. الجزءالأوّل. الوقت: [٢٢:٤٠] بتصرّف يسير.

و (الحقيقة) في نظر سبحاني تتمثل في كون الله سبحانه خالقاً آمراً، و الإنسان مخلوقاً مأموراً، يقول: "هناك حقيقة وهي أنّ العلاقة بين الله و بين خلقه علاقة خلق و أمر، هو الخالق الآمر بالأمر التسخيري أو الإبتلائي، و الإنسان و الكون و الخلق كلّه، مخلوق مأمور".(١)

أمّا (الواقع) فهو الواقع الإبتلائي الحياتي للإنسان في تصوّراته و سلوكه، فلا يخرج الأمر عن حالتين: فإمّا أن يكون الإنسان سائراً في حياته وفق حقيقة خالقية و آمريّة الله والإمتثال لأوامره التشريعيّة في حياته، أو لا يكون سائراً وفق حقيقة خالقية و آمريّة الله، سبحانه، بل يعيش واقعاً لا يمتثل لأوامر الله التشريعيّة. ففي الحالة الأولى يكون الإنسان يعيش واقعاً ملائماً لحقيقة العلاقة بينه و بين الله، وفي الحالة الثانية يكون الإنسان يعيش واقعاً غير ملائم لحقيقة العلاقة بينه و بين الله سبحانه.

وبناءً عليه، فإن كان واقع الإنسان هو الواقع الملائم (أي: سار بأمر الله التشريعي في حياته الإبتلائيّة): "فإن يصدر من جانب الله سبحانه كلام، فإنّه يصدر لتأييد هذا الواقع، و يكون ترغيباً للإستقامة على هذا الواقع، و للإستمرار عليه".(٢)

وإن كان واقع الإنسان هو الواقع غير الملائم (أي لم يكن سائراً بأمر الله التشريعي في حياته الإبتلائية): "عند ذلك إن يصدر كلام من الله سبحانه من جانبه، يكون داعياً للإنتقال من هذا الواقع، ولتغيير هذا الواقع، إلى واقع ملائم".(٣)

إذن هناك حقيقة تتمثل في إرجاع الخلق و الأمر كلّه لله، وفي مقابل هذه الحقيقة هناك واقعان:

الأوّل: ملائمة الواقع الإنساني مع الحقيقة المذكورة، فيكون الإنسان في هذه الحالة سائراً على طريق هدى الله ومتمثلاً لأوامره. وعليه فالكلام الصادر من الله سبحانه تجاه هذا الواقع يكون تأييداً و ترغيباً للإستقامة و الإستمرار عليه.

الثّاني: عدم ملائمة الواقع الإنساني مع الحقيقة المذكورة، فيكون الإنسان في هذه الحالة لا يسير على طريق هدى الله و لا يمتثل لأوامره. وعليه فالكلام الصّادر من الله سبحانه تجاه هذا الواقع يكون رفضاً و ترهيباً و دعوة لتغييره إلى واقع ملائم.

فما هو سبب النزول؟ و ما هي النتيجة الّتي وصل إليها سبحاني من هذه المقدّمة؟

سبب النّزول هو الواقع بنوعيه الملائم و غير الملائم المقتضي لأن ينزل كلام من الله لتأييده أو لرفضه و تبديله بواقع آخر، و هو ما يعنيه بقوله: "هذا الواقع الّذي يقتضي صدور كلام مؤيّد أو داع إلى تغيير، يقال له سبب النّزول ".(٤)

---

(١) سبحاني، ناصر. محاضرات في أسباب النزول. مصدر سابق. الجزءالأوّل. [١١:٣٢].

(٢) المصدر نفسه ، الجزء الأوّل، الوقت: [١٢:٥٨]

(٣) المصدر نفسه ، الجزء الأوّل ، الوقت: [١٤:٠٦].

(٤) المصدر نفسه ، الجزء الأوّل ، الوقت: [٢٠:٥٢].

يقصد العلاّمة سبحاني من مفهوم سبب النّزول، سبب نزول الهداية الربانية و الوحي الإلهي بشكل عام على الواقع الإنساني و على مرّ العصور، و هو ما عبّر عنه بـ ((سبب النزول بالمعنى العميق))، لا بالمعنى الدّارج الّذي يبحث المرء عن واقع تأريخي معيّن أصبح سبباً لنزول آية بعينها، في القرآن. وهذا ما تطرّق إليه آخرون بشكل أو بآخر، عندما يتحدثون عن السبب الأصلي لنزول القرآن بعمومه.(١)

يقول سبحاني: " الواقع الملائم للحقيقة أو غير الملائم للحقيقة المقتضي لنزول كلام لتأييده أو للدّعوة إلى تغييره، هذا الواقع يكون سبباً لنزول كلام، لنزول كتاب من الله، أو بعض كتاب أو آية ..... و يكون هذا حديثاً عن سبب نزول كلام الله سبحانه بغض النّظر عن أن يكون القرآن أو التوراة أو الإنجيل أو غير ذلك ..... هذا الواقع سبب النزول لكلّ ما قد أنزل الله من الكتب.(٢)

و هناك نكتة في قول سبحاني، و هي أنّه كما يبدو من كلامه، يقول بالتناسب بين السبب و المسبب، بمعنى أنّه يعتقد أنّ هناك تناسباً أو تلائماً بين الحقيقة و الواقع، لا التلازم، فهو يتحدّث عن الملائمة و التلائم، وعندما نطبّق هذا على أسباب النّزول فبمعنى وجود التناسب بين الوقائع و الأحداث وبين الآيات النّازلة بسببها، لا أنّ السبب– أو الوقائع والأحداث– منشئة ومسبّبة لنزول الآيات.

الفرع الثّاني: أسباب نزول الوحي على مرّ التأريخ لدى سبحاني

إذا كان سبب النزول الهداية الرّبّانيّة على طول الزّمان، هو الواقع الإنساني الملائم لحقيقة خالقية و آمريّة الله سبحانه، أو هو الواقع الإنساني غير الملائم لتلك الحقيقة، المقتضي لنزول كلام من الله، فلماذا تعدّدت واختلفت الكتب و الرّسالات الّتي نزلت على الإنبياء(عليهم السّلام)؟

للإجابة على هذا السّؤال يركّز سبحاني على مسألتين:

المسألة الأولى: تتمثل في انّه على الرّغم من كون الهداية شيء واحد في حقيقته وجوهره، لكنّ سبب نزول هذه الهداية الّذي هو عبارة عن الواقع الإنساني الملائم أو غير الملائم للحقيقة الإلهية المقتضي لنزول كلام من الله، يختلف من زمان لزمان، ومن مكان لمكان آخر. وبما أنّه قد انزل الله سبحانه في كلّ فترة من الفترات كتاباً، و لم يكتف بانزال أوّل كتاب أنزله، نعرف أنّ الواقع الّذي اقتضى انزال الكتاب على نوح، غير الواقع الّذي اقتضى انزال الكتاب على هود، و ذلك غير الواقع الّذي اقتضى انزال الكتاب على صالح و هكذا ... أي الواقع المقتضي لنزول كلّ كلام و كلّ كتاب كان

(١) كما قال الشيخ ولي الله الدّهلوي: " وقد ربط عامّة المفسرين كلّ آية من آيات الجدل و الأحكام بقصّة، ويظنّون أنّ تلك القصة هي سبب نزولها. والحقّ أنّ القصد الأصلي من نزول القرآن هو تهذيب النفوس البشريّة، ودمغ العقائد الباطلة، و نفي الأعمال الفاسدة". انظر: الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم. الفوز الكبير في أصول التفسير. دمشق: دار الغوثاني للدراسات القرآنية. ط١، ٢٠٠٨. (–١٩).

(٢) سبحاني، ناصر. محاضرات في أسباب النزول. مصدر سابق. الجزء الأوّل ، الوقت: [٢٢:٣٧]. بتصرّف يسير.

يختلف في تفاصيله – لا في حقيقته و جوهره- عن غيره ممّا كان مقتضياً لنزول كتاب آخر و كلام آخر.(١)

المسألة الثّانيّة: هذا الإختلاف في الواقع الإنساني، يتمثل في درجة بساطة الحياة و تعقيدها، فإن كانت الحياة في بساطتها الأولى، ولم يكن هناك ظهور للأنظمة الإجتماعيّة و السيّاسيّة و الإقتصاديّة، ففي هذا النّوع من الظّرف الزماني و المكاني، لم يكن يسمح الواقع الإنساني بظهور الإنحرافات بصورة مفصّلة و متشعّبة. كما أنّ الإنسان و نظراً لبساطة حياته لم يكن بحاجة إلى نزول كلام من الله يتحدّث بالتّفصيل في القضايا الاقتصادية و الاجتماعيّة و السّياسيّة. و من ثمّ لم يكن مستعدّاً لتلقّي وحي يتضمّن كلاماً مفصّلا، لأنّ واقعه لم يكن يتحمّل ذلك، فلم يكن ذلك الواقع مقتضياً لنزول كتاب مفصّل، بل كان يحتاج إلى كتاب أكثر إجمالاً.

و بناءً عليه فإنّ درجة البساطة و البداءة في الحياة تؤثّر في درجة قيام الواقع الملائم المتمثل في الإستجابة للأوامر الإلهيّة، و كذلك تؤثّر ايضاً في درجة قيام الواقع غير الملائم المتمثل في عدم الإستجابة للأوامر الإلهية و ظهور الإنحرافات و أوجه الضّلال، بالإجمال و التّفصيل. فكلّما كانت الحياة أبسط، والإستعدادات الإنسانيّة أقلّ نموّاً و تطوّراً، كان الكلام المنزل من الله لذلك الواقع الملائم أو غير الملائم أكثر إجمالاً. و بالعكس كلّما كانت الحياة أكثر تعقيداً و الإستعدادات الإنسانيّة أكثر نموّاً و تطوّراً، كان الكلام المنزّل من الله، أكثر تفصيلاً. وبذلك يكون السبب لنزول كتاب الهداية هو الحاجة إلى الهداية و الإستعداد لتلقّيها. (٢)

من جانب آخر، يشير سبحاني إلى مسألة مهمّة، وهي مستوى قدرة الإنسان والإجيال الإنسانيّة على حفظ الهدى وابقائه مصوناً من عبث المحرّفين، فمن البدهي أنّ قدرة الإجيال السّابقة و الإنسان في الع-صور القديمة على حفظ الهدى بكتابته و ضبطه، و كذلك ايصاله إلى الأمكنة و الأزمنة الأخرى، لم تكن بالمستوى الّتي وصلت إليها الأجيال اللاحقة و المتأخرة، ولم يكن بدّ من أن تكون الهداية الرّبانيّة في صورة كتب متعدّدة، كلّ كتاب ينزل إلى الواقع الّذي يناسبه. (٣)

ومن اللافت للنّظر أنّ سبحاني يشير إلى الأدوار التّطوريّة الّتي مرّ بها الإنسان، فكان يختلف الكلام الّذي أنزل عليه من الله حسب تلك الأدوار: " أنّ البشريّة مرّت بأدوار تطوّرية تشبه أدوار انسان منذ عهد الطفولة إلى عهد الكمال، ففي عهد آدم كان كطفل يحتاج إلى توجيهات بسيطة، و في عهد نوح كان كمن دخل المدرسة، و في عهد إبراهيم كان كمن دخل الثّانوية و ..... وفي كلّ دور كان يحتاج إلى تفصيل أكثر في الهدى و كان فيه استعداد أكثر لتلقي الهدى".(٤)

---

(١) أنظر بالفارسيّة: ناصر سبحاني (مقدمه ى تفسير برخى أز سوره هاى قرآن). مصدر سابق.(- ١٧- ١٩)، وأيضاً: محاضرات في أسباب النزول. الجزء الأوّل. الوقت: [٣٢:٠٠- ٣٥:٠٠].

(٢) المصادر نفسها، بالفارسيّة (مقدمه ى تفسير برخى أز سوره هاى قرآن، ناصر سبحاني (١٧- ١٩)، وأيضاً: محاضرات في أسباب النزول. الجزء الأوّل الوقت: [٣٢:٠٠- ٣٥:٠٠].

(٣) المصادر نفسها، و نفس الإشارات.

(٤) محاضرات في أسباب النزول. المصدر نفسه. الجزء الأوّل الوقت: [٣٤:٠٧]

أمّا في عهد نزول القرآن فقد وصلت البشرية إلى مستوى تستطيع أن تحفظ الهدى من عبث المحرّفين، فزال المانع (عدم استعداد البشر على حفظ الهدى). كما ظهرت أوجه الضّلال و الفساد في هذا العهد بتفاصيله، وكذلك في أثناء نزول القرآن، حدث التفاصيل للواقع المطابق و خاصّة في العهد المدني ... و بذلك، حدث كلّ الواقعات الجزئيّة المقتضية لنزول الهدى من الله. فنزل الهدى بكامله و أعلن ختم الرّسالة.(١)

الفرع الثالث: أسباب النزول لتفاصيل القرآن:

كما أشير إليه سابقاً، لقد نزل القرآن عندما حدث المقتضي لنزوله، إذ وصل البشر إلى دور التمكّن من حفظ كتاب الهداية، و ظهر كلّ أوجه الضلال و الفساد بتفاصيله، فكان الواقع غير الملائم قائماً بتفاصيله، كما حدث تفاصيل الواقع الملائم أثناء نزول القرآن و تكوين مجتمع سائر على هدى الله و خاصّة في المدينة، فكانت الظروف مقتضية لنزول كتاب كالقرآن.

و بما أنّ الواقع هو سبب النّزول و أنّ تفاصيل الواقع هي الأسباب التفصيلية للنزول، و لأنّ هذه التّفاصيل لا توجد في لحظة واحدة، بل تحدث شيئاً فشيئاً و بتدرّج، لذلك لم يكن من الحكمة أن ينزل القرآن مرّة واحدة، بل اقتضت الحكمة أن ينزل منجّماً و بتدرج.(٢)

فإذا نظرنا إلى الواقع المنحرف أو غير الملائم، نرى انّه بتفاصيله " جعل الناس ذوي خصال سيّئة راسخة في نفوسهم، كخصلة الاشراك بالله، وخصلة الإساءة إلى الوالدين و غيرهما ..... وكلّ خصلة من هذه الخصال كانت تقتضي معالجة خاصّة بها، والمعالجة تحتاج إلى زمن، و كون الهدى نازلة لتربية النفوس و تزكيتها و تنقيتها من السّيئات .... وكون التربية تنمية للخصال الحميدة و اقتلاعاً لبذور الخصال السيّئة، يحتاج هذا الأمر إلى زمان طويل و إلى معالجات كثيرة. هذه الأمور اقتضت أن لا ينزل القرآن مرّة واحدة".(٣)

مثلاً: نزلت آية عدم التبرج ، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ {الأحزاب: ٣٣} في العام الخامس من الهجرة، أي بعد ثمانية عشر عاماً من أول نزول للقرآن. حيث أُخّر إنزال الهدى المتعلق بهذه الخصلة، إلى هذا الوقت، لكي يأتي هذا الزّمان الذي يمكن فيه أن يقتلع بذور تلك الخصلة السيئة (التبرّج الجاهلي)، ويحلّ مكانها هذه الخصلة الحسنة (عدم التبرّج).(٤)

ومع أنّ نزول القرآن منجّماً خلال أكثر من عشرين سنة، كان أمراً واضحاً و معلوماً لدى جميع المهتمين بالعلوم الإسلاميّة، ومنصوصاً عليه في القرآن، لكنّ سبحاني يحاول توضيح الحكمة و السرّ في علّة التنجيم حسب نظريته، حتّى

(١) محاضرات في أسباب النزول. مصدر سابق. الجزء الأوّل [٠٠:٣٧-٠٠:٤٠]

(٢) المصدر نفسه. الجزء الثاني. الوقت: [٤٠:٤١]، و مقدمه ى تفسير برخى أز سوره هاى قرآن، (- ١٩).

(٣) المصدر نفسه. الجزء الثاني. الوقت:: [٠٣ :٤٤].

(٤) المصدر نفسه. الجزء الثاني. الوقت:: [٠٠:٤٧- ٠٠:٥٢].

تكون المسائل المتعلّقة بأسباب النّزول متناسقة لديه فيما بينها، و يصل هو إلى بعض نتائج يراها ضروريّة، خاصّة في المجال العملي للتّزكية و الدّعوة. حيث يرى أنّ أمر التربيّة و التّزكية و دعوة الآخرين يجب أن يخضع لهذا التّدرج الّذي نزل عليه القرآن. فيقول: " إنّ نزول القرآن منجّماً {مفرّقاً} ليس أمراً تأريخيّاً قد مضى و لا يتكرّر، بل هو أمر مهم ينبغي أن يلاحظه من يريد أن يقوم بتزكية نفسه و لمن يريد أن يربّي الآخرين".(١)

متصلاً بنزول القرآن مفرّقاً في فترات تأريخية طويلة، فقد ذكر سبحاني بعض المسائل، هي:

١- يؤكّد سبحاني أنّ أوّل ما نزل من القرآن هو سورة الفاتحة.(٢) الّتي هي عبارة عن مجمل القرآن، حسب رأيه، وهي بمثابة المتن و بقية القرآن في موقع شرح و تفصيل لها. وهذا يقتضي أن تكون نزولها تأريخياً في بداية الوحي أو تكون أوّل سورة نزلت بعد الآيات الخمس من سورة العلق. كما أنّها تصلح لكلّ الوقائع والظّروف، سواءَ كانت ملائمة لحقيقة كون الله خالقاً آمراً، أو لم تكن ملائمة لتلك الحقيقة، فكانت ظروف نزولها قائمة على الدّوام.(٣)

و هذه الأهميّة الّتي يقرّ بها سبحاني لسورة الفاتحة، كونها متن القرآن و ملخصه و المدخل و المفتاح لفهم و تلقي القرآن، وعلى الرّغم من وجود روايات لفضل سورة الفاتحة، لم يذهب إليه العلماء، كما أنّ تركيزه على مفردتي (الخلق والأمر) اللتين أقام مفهوم أسباب النزول عليهما، من اجتهاداته، وهذا يعود إلى منهجيته في التّفسير عندما ركّز على أشياء مفتاحيّة سوراً أو مفردات لتفسير القرآن. لا مجال لمناقشته هنا.(٤) كما يمكنني أن أقول بأنّه مع عدم اطّلاع سبحاني على النّظريات الحديثة في علم اللغة و علم الدلالة، يوجد اقتراب بينه و بين الباحث الياباني (توشيهيكو ايزوتسو)(٥) الّذي استخدم علم الدّلالة لدراسة مفاهيم قرآنيّة في كتابه (الله و الإنسان في القرآن) إذ ركّز على مفردات-

---

(١) محاضرات في أسباب النزول، المصدر نفسه، الجزءالثّاني. الوقت : [٠٠:٥٧]. بتصرّف يسير.

(٢) قال الزركشي في البرهان: و قيل أوّل ما نزل سورة الفاتحة، روي ذلك من طريق ابن اسحاق عن ابي ميسرة... وقال القاضي ابوبكر في الإنتصار: وهذا الخبر منقطع..، ثمّ قال و طريق الجمع بين الأقاويل أنّ أوّل ما نزل من الآيات (إقرأ باسم ربّك)، و أوّل ما نزل من أوامر التبليغ (يا أيها المدثر) وأوّل ما نزل من السّور سورة الفاتحة. انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن. (١/٢٠٧-٢٠٨).

(٣) محاضرات في أسباب النزول ، المصدر نفسه الجزء الأوّل. الوقت: [٢٥:٣٠]. وقد أشار إلى هذه المسألة في العديد من آثاره: انظر: **(بانگەوازو قۆناغـەکانی بانگـەوازکردن)**. مصدر سابق. (- ١٠٥-١٠٦) ، و (مقدمه ی تفسير برخی أز سوره های قرآن.) مصدر سابق. (-٢٠-٢١)

(٤) لمعرفة منهجيّة سبحاني في التفسير يمكن للقاريء الرجوع إلى: (عبدالعزيز، عمر. العلامة ناصر سبحاني وجهوده الدّعويّة والإصلاحيّة. مصدر سابق. (-٣٠٢- ٣١١). وانظر أيضاً: **(ئەڵماس، نوعمـان موحەمـەد. تـەئویل و رۆحـی قورئـان. گۆڤـاری هـەژان. سلێمانی: ژ ١٧-١٨، سالّی ٢٠٠٥ز)**.

(٥) توشيهيكو ايزوتسو (١٩١٤-١٩٩٣) ولد في طوكيو، تخرج في جامعة كيو، طوكيو. ثمّ درس فيها بين عامي ١٩٥٤-١٩٦٨، وفي معهد الدّراسات الإسلاميّة في جامعة مكجيل، مونتريال، كندا. ونقل تلامذته إسلامه وأنه سمى نفسه (مختار)، من أهمّ أعمّاله: ترجمة القرآن الكريم إلى اليابانيّة، وكتاب: بنية المصطلحات الأخلاقيّة في القرآن، وكتاب: الله والإنسان في القرآن، وغيرها.. أنظر: إيزوتسو، توشيهيكو. الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرّؤية القرآنيّة للعالم. ترجمة وتقديم : د.هلال محمّد الجهاد. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٧. من مقدّمة المترجم. (-٩).

مفتاحيّة في القرآن كمنهج لدراسته. [١]

٢- و بعد نزول مجمل القرآن ومتنه، بُدأ بانزال تفاصيل القرآن، وذلك حسب ترتيب في الأولويّة و الأهميّة بين تفاصيل سبب النّزول، حيث اقتضى هذا الترتيب، ترتيباً في نزول الهدى، في تأييد الواقع الملائم أو لتغيير الواقع غير الملائم. وبناءً عليه نزلت الآيات المتعلّقة بالربوبيّة و المبيّنة لأسماء الله الحسنى و صفاته، ثمّ نزلت الآيات المتعلّقة باليوم الآخر، وعلى الرّغم من أن واقع الإنحراف في الاعتقاد في الألوهيّة أهمّ وأكبر من غيره من الواقع الّذي يعيش فيه البشر، إذ انّ انحرافه في هذا الأمر على رأس كلّ انحراف، لكن قبل التّطرق الى توحيد الله في الألوهيّة و العبادة، تطرّق القرآن إلى مسألة الإيمان باليوم الاخر، لكون الإنحراف في الإيمان باليوم الآخر حاملاً الإنسان على الضلال والإنحراف في الألوهية. فبالإيمان باليوم الآخر يحصل الإنسان على الشّعور بالمسؤوليّة ويتوّجه إلى الله موحداً بالألوهيّة. إذن اقتضي رعاية الأولوية التّطرّق إلى مسألة المعاد و اليوم الآخر قبل التّطرّق إلى مسألة الألوهية نفسها، وهذا الترتيب كما يقول سبحاني، موجود في سورة الفاتحة.[٢]

من جهة أخرى ذهب سبحاني إلى أنّه تمّ نزول الآيات والسّور الخاصّة بالإيمان و الإعتقاد بصورة عامّة قبل الآيات الّتي تطرقت إلى القيام بالعمل الصّالح و الأحكام، وهذا لا يعني عدم نزول آيات تتعلّق بالعمل الصّالح و الأحكام في بداية الوحي، كما لا يعني أيضاً عدم نزول آيات خاصّة بالإيمان بعد نزول آيات الأحكام أو من خلالها، لأنّ الإيمان بمثابة الأصل و العمل بمثابة الثمر، بل هناك كلام بصورة اجمالية عن العمل الصالح في بدايات الوحي، كما هناك نزولاً لآيات تتحدّث مجملاً عن آيات الإيمان في العهد الأخير.[٣]

وبناءً على هذا الترتيب، يرى العلامة سبحاني انّه بعد نزول سورة الفاتحة، نزلت قبل كلّ شيء سور الجزء الثلاثين ما عدا سورتي البيّنة والنّصر، وسور الجزء التاسع و العشرين و سور الجزء السابع و العشرين ما عدا سورة الحديد، و سورة {ق} من الجزء السادس والعشرين. ففي هذه السّور الموجودة في هذه الأجزاء، تمّ الحديث بالتّفصيل عن ربوبيّة الله سبحانه و ذكر أسمائه و صفاته ونعمه من جهة، و مربوبيّة الإنسان واحتياجه الى رحمة الله من جهة ثانية، ثمّ الإيمان

(١) يقول إيزوتسو: " أنّ الكلمات في لغة ما تؤلّف نظاماً مترابطاً بقوة. إنّ النمط الرئيسي لهذا النّظام يتحدّد بعدد معيّن من الكلمات ذات الأهميّة الخاصّة...ليس كلّ الكلمات في معجم ما ذات قيمة متساويّة في تشكيل البنية الأساسيّة للتّصوّر الأونطولوجي المباطن للمعجم، مهما يمكن أن تبدو مهمّة من وجهات نظر اخرى...إنّي أسمّي هذه الكلمات الّتي تؤدّي دوراً حاسماً و حقيقيّاً في تشكيل البنية المفهوميّة للرؤية القرآنيّة للعالم بِـ ((المصطلحات المفتاحيّة)) للقرآن، و تمثل كلماتُ: الله، الإسلام، الإيمان، الكافر، النّبيّ، الرّسول، بعضَ الأمثلة البارزة على ذلك. إنّ فرز المصطلحات المفتاحيّة عن مجمل المعجم القرآني، سيكون جزءاً مهمّاً جدّاً —و صعباً جدّاً كذلك- من عمل المختصّ في علم الدّلالة الّذي يريد أن يدرس القرآن من وجهة النّظر هذه قبل أيّ شيء آخر، لأنّ ذلك سيحدّد كلّ العمل اللاحق الّذي سيقوم به، وهذا سيمثل بلا ريب الأساس الدّقيق للصّرح كلّه".المصدر نفسه. (-٥١- ٥٣).

(٢) سبحاني، ناصر. مقدمه ى تفسير برخى أز سوره هاى قران، مصدر سابق. (-٢٢-٢٣). و (٣٧-٣٩) و محاضرات في أسباب النزول، الجزء الأوّل. الوقت: [٠٠:٤٨-٠٠:٥٦].

(٣) مقدمه ى تفسير، المصدر نفسه. (- ٢١).

باليوم الآخر وأحوال القيامة من جهة ثالثة. و لم يتمّ الحديث عن توحيد الألوهيّة و كلمة الإله، الاّ في ست سور، وهي: النّاس، نوح، المزمّل، الطور، الذّاريات، ق. وهي كلّها متأخرة في النزول عن بقية السّور الأخرى.(١)

واكّد العلاّمة سبحاني أكثر من مرّة على " انّ هذا الكتاب إنّما تنزل آياته عندما تتهيّأ الظروف المناسبة للآيات، و انّ الظروف لا تتهيأ لنزول كلّ الآيات و كلّ السّور في لحظة واحدة، بل أجزاء الواقع تحدث شيئاً فشيئاً".(٢)

ثمّ هناك مسألة أخرى تتعلّق بالترتيب للآيات و السّور الموجود في المصحف، فيتحدّث سبحاني عن الترتيب الطبيعي الموجود في المصحف، و الترتيب التأريخي لنزول الآيات حسب الأحداث، فالّذي يجب مراعاته هو الترتيب المجمل الموجود في سورة الفاتحة، أمّا ترتيب الآيات و السّور حسب الأحداث والوقائع الّتي نزلت بسببها الآيات، فلا تُجنى منه فائدة خاصة، لأنّ الأحداث الّتي اقتضت نزول تفاصيل الهدى كانت بترتيب قد لا يتكرر ذلك الترتيب، ولا يمكن جعل الترتيب الأوّل لنزول القرآن أصلاً لكلّ زمان ومكان.(٣)

فمثلاً : في سورة التوبة نزلت ما بعد الآية (٢٨) منها إلى آخر السّورة في العام الثّامن، وصدر السّورة في العام التاسع، أي تأخّر نزول صدر السّورة إلى نهاية الآية (٢٨) عن نزول بقيّة السّورة، لأنّ ترتيب الأحداث حينها اقتضت ذلك، فقبل أن تتهيّأ الظّروف لتصفية مركز الحكومة الإسلاميّة عن الشّرك و ابعاد المشركين عن المسجد الحرام، تهيّأ الظروف لقتال أهل الكتاب ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾ {التوبة: ٢٩}. وبهذا يبدأ المؤمنون بقتال أهل الكتاب ويحدث غزوة تبوك و.... وبعد رجوعهم عن غزوة العسرة تتهيّأ الظّروف لإخراج المشركين عن المسجد الحرام و إبعادهم، وعند ذلك ينزل: ﴿ بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ {التّوبة: ١}.

حدث سبب نزول بقيّة السّورة قبل سبب نزول صدر السّورة، و لكن الترتيب الطبيعي غير هذا، ينبغي أن يبعد المشركون عن المركز أوّلاً ثمّ، ثمّ يتصدى لقتال الآخرين، فالنزول الطبيعي هو أن ينزل صدر السّورة أولاً ثمّ بعد ذلك بقية السّورة، أمّا الأحداث الّتي وقعت حينذاك، اقتضت نزول بقية السّورة أوّلاً و أن يتقدّم على صدر السّورة في النّزول. اذن يراعى في ترتيب الآيات الترتيب الطبيعي، لا ترتيب الأحداث، لو روعيت ترتيب الأحداث لكتبت السّور القصار و هكذا إلى سورة المائدة في آخر السّور.(٤)

---

(١) مقدمه ى تفسير، المصدر نفسه. (- ٢٣). و مع وجود روايات تقول بأنّ سورة المزّمل متقدّمة في النّزول، لكنّ سبحاني من خلال محاور السّورة وآياتها وصل إلى أنّها متأخّرة في النّزول. للمزيد يمكن الرّجوع إلى: محاضرات أسباب النزول، الجزء الأوّل، الوقت: [٣٤:٥٩-٥١:٦١].

(٢) سبحاني، محاضرات أسباب النزول. الجزء الثاني، الوقت: [١١:٦٨].

(٣) سبحاني. مقدمه ى تفسير. ص: ٢٩. و محاضرات أسباب النزول، الجزء الثاني، الوقت: [٠٣:٧٨].

(٤) سبحاني. محاضرات أسباب النزول. الجزء الثاني، الوقت: [٠٨:٧٨- ٣٨:٨٢].

المطلب الثاني:

أسباب النّزول : طرق معرفتها و أهميتها، ملاحظات سبحاني على الكتب المصنّفة فيها

الفرع الأوّل: طرق معرفة أسباب النّزول عند سبحاني:

سبق في المبحث الأوّل، أنّه كان لمعرفة سبب النّزول طريق واحد، وهو النّقل الصحيح عن الصّحابة ، أو عن التّابعين إذا اعتضدت رواية أحدهم بروايات آخرين، لكنّ سبحاني، سلك طريقاً آخر، لأنّه يرى أنّ سبب النّزول أعمق من نقل رواية أو ذكر حدث أو قول سبق نزول آية أو سورة.

ذهب سبحاني إلى أنّ التّدبر في السّورة، وفي محور آيات السّورة، و في آيات السّورة، يهدي الإنسان إلى معرفة سبب النّزول، لأنّ السّورة تعالج الواقع، فالتأمّل الصّادق و التدّبر الخالص في السّورة يهدي إلى الواقع {أي السبب}.[١]

و بما أنّ كلّ كلام له مراده، الّذي يؤخذ و يفهم من الكلمات الّتي يتألف منها الكلام، و من تراكيبه الخاصّة، اضافة إلى أنّ كلّ كلام له محور يدور أجزاءه حول بيانه و تبيانه، ومن الواضح أن كلّ كلام يقال، فإنّما يقال بناءً على اقتضاء يكون سبباً لصدوره، فإذا مراد و محور الكلام بمثابة مسبب، و اقتضاء صدوره بمثابة سبب، فمن المعلوم أنّه يمكن الوصول إلى السّبب عن طريق المسبّب، ويتضح المسبّب (مراد ومحور الكلام) عن طريق التأمّل في الكلام و التدبّر في خصائص و معاني الألفاظ و التراكيب.[٢]

وبهذا نعرف أنّ ما ذهب إليه سبحاني هو عكس ما ذهب إليه العلماء السّابقون، فهم كانوا يبدأون من معرفة السبب للوصول إلى المسبب،[٣] لكنّ سبحاني كان يبدأ بمعرفة المسبب للوصول إلى السّبب.

أورد سبحاني في آثاره المختلفة، أمثلة لتوضيح هذه الفكرة {الوصول إلى السبب عن طريق الكلام نفسه}، فذكر أنّه عندما تَقرأ خطبة مكتوبة لخطيب كتبها في يوم من الأيام، تستطيع أن تصل إلى معرفة الواقع و الظرف الّذي ألقيت فيه الخطبة، عن طريق الخطبة نفسها. لأنّ فيها إشارة و تركيزا على بعض المسائل، تدلّ الإنسان إلى معرفة الواقع الملقى فيه.[٤] فمثلاً سبب نزول سورة الضحى، هو ابتلاء الداعي بظنّ تجاه الله سبحانه، بأنّه قد أهمله و لم يكن يشمله برحمته الواسعة كالسّابق، ممّا أثّر في سلوك الدّاعي أو المسلم في ان لا يكون رحيماً بمن يحتاج إلى الرّحمة و الشّفقة من النّاس، فنزلت السّورة لإزالة ذاك الظّن و تأكيد رحمة الله على الدّاعي.[٥]

---

(١) سبحاني. محاضرات أسباب النزول، الدرس الثاني، الوقت: [٠٤:٠٠].

(٢) سبحاني. مقدمه ى تفسير. مصدر سابق. (- ٢٧).

(٣) يقول ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب..." انظر: ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير. مصدر سابق. (- ١٦).

(٤) انظر بالكورديّة: (**سوبحانى. بانگەواز و قۆناغەكانى بانگەواز**) مصدر سابق. (- ١٠٧).

(٥) سبحاني، مقدمه ى تفسير. مصدر سابق. (- ٢٨).

أمّا السّبب المقتضي لنزول سورة الفيل، فهو حالة اليأس الذي قد يصيب بها بعض المسلمين، بسبب قلّتهم و ضعفهم في مرحلة من مراحل الدّعوة، فهنا تنزل سورة الفيل لتأكيد أنّ الله يظهر دينه، ولو كان بطريقة غير مألوفة عند البشر، فقد هزم أعظم جيش في زمانه المركبة من الفيلة، بطيور صغيرة ضعيفة.(١)

الفرع الثّاني: أهميّة أسباب النّزول عند سبحاني:

بعد توضيحه لمفهوم أسباب النزول بهذه الصّورة النّظرية الكليّة، يشير سبحاني إلى أهميّة معرفتها، كونها الواقع الّذي ينزل فيها القرآن، فقال انّه لابد من معرفتها لفهم المراد من كلام الله.(٢) قبل ذلك يقرّر بصورة عامّة أنّ الفهم الصحيح لا يحصل حول كلام ما، إلاّ بمعرفة الحقيقة الّتي بني عليه الكلام من جانب، و معرفة الواقع الّذي يوجَّه إليه الكلام من جهة ثانية، لأنّه:

"إنّما يصدر الكلام بناءً على حقيقة و ناظراً إلى واقع، أو بناءً على حقيقة و في ظرف من الواقع، فكما يجب أن يعرف الحقيقة الّتي هي المبنى و الأساس للكلام و المصدر له، كذلك يجب أن يعرف الواقع الّذي هو ظرف الكلام، و المقتضي لصدور الكلام...".(٣)

وبما أنّ سبب النّزول في رأي سبحاني هو الواقع الملائم أو غير الملائم الّذي يُوجَّه إليه كلام الله سبحانه، وهو ظرف الكلام و المقتضي لصدوره كما يقول، فإنّ سبب النّزول واجب معرفته كونه يمثل ركناً مهمّاً من أركان عمليّة الإتّصال و (الوحي) من الله بالإنسان، ولذلك يعتقد انّه لكي يصبح الإنسان قادراً على فهم الكلام المنزّل من الله بشكل صحيح و يستفيد منه، فإنّه يجب عليه أن يكون عارفاً بحقيقة العلاقة بين الله وبين خلقه الّتي تتمثل في معرفة كون الله خالقاً وآمراً و كذلك كون الإنسان مخلوقاً مأموراً، هذا من جانب، و من جانب آخر يجب أن يكون عارفاً ومدركاً للواقع الّذي يعيشه، سواء كان ملائماً أو غير ملائم للحقيقة المذكورة. يقول:

"إن يعرف الإنسان الحقيقة و يكون منتبهاً للواقع، الّذي هو فيه، يفهم كلام الله عن رحمته و عن ملكه، حينما يصف نفسه هو بأنّه (الرحمن الرحيم)، لا يحسّ الإنسان بانّ الله يريد أن يؤذيه بالمنة عليه، بل يعرف إنّه إنّما يصف نفسه سبحانه بالرّحمة ويذكّر الإنسان بهذا، كي يستقيم الإنسان و يستمرّ على التمتّع بمظاهر رحمته، إن يكن الواقع الذي يعيش فيه ملائماً للحقيقة، وكذلك ليتمتع بمظاهر رحمته، لتغيير الواقع غير الملائم إن يكن في ذلك الواقع (أي الواقع غير الملائم)، فيعرف أنّ الحديث عن الرّحمة رحمة كذلك، وليس أيذاءاً و منّة مؤذية، فيفهم المراد و يستفيد من هذا الكلام، وكذلك حينما يتحدّث الله عن مُلكه و مِلكه للإنسان، و لمصير الإنسان، يعرف الإنسان أنّه إنّما يتحدّث عن هذا كي

---

(١) انظر بالكورديّة: (**سوبحانی. بانگەواز و قۆناغەکانی بانگەواز**) مصدر سابق. (- ١٠٨).

(٢) سبحاني. محاضرات أسباب النزول، مصدر سابق، الجزء الثّاني. الوقت: [٠٣:٠٩] .

(٣) أوردت هذا المقتبس في صفحات سابقة من البحث، وقد قمت بإعادة مطلعها هنا نظراً لصلتها الشديدة مع تسلسل البحث. (محاضرات أسباب النزول، المصدر نفسه، الجزء الأوّل. الوقت: [٢٢:٤٠] بتصرّف يسير.

يشعر الإنسان بالمسؤوليّة و كي يتمتّع بمظاهر الرّحمة و يستفيد كما ينبغي، و يحصل على ما هو بصدده من الزّكاء و النّماء الكامل".[١]

إذن " فإن يكن {الإنسان} في الواقع الملائم للحقيقة، يستفيد من ذلك الكلام، من ذلك الحديث عن ملكه و مِلكه له، فيشعر بالمسؤوليّة أكثر فأكثر و يستمرّ على هذا الواقع، وإن يكن في غير هذا الواقع، فسيشعر بالمسؤوليّة و ينتقل عن ذلك (اي الواقع غير الملائم) إلى الواقع الملائم".[٢]

وبذلك يتّضح أنّ معرفة سبب النّزول ركن أصيل و أساسي لتكوين الفهم الصّحيح و فهم المراد من كلام الله. و بناءً عليه يصاب الإنسان بسوء الفهم في حالتين:

أوّلاً: إن لم يكن الإنسان عارفاً بحقيقة العلاقة بين الله و الإنسان.

ثانياً: أو يكون عارفاً بحقيقة العلاقة لكنّه غير منتبه إلى واقعه غير الملائم، او حتى الملائم. ففي هاتين الحاتين يكون ما يحصل عليه الإنسان من الإستماع لكلام الله أمر سلبي و لا يحصل منه على شيء. لأنّه يشعر بالإيذاء و المنّة ويصيب بسوء فهم.

إذن " لابدّ لفهم كلام الله سبحانه و للإستفادة منه، أن يكون الإنسان عارفاً بحقيقة كون الله سبحانه الخالق الآمر، و الإنسان المخلوق المأمور، و منتبهاً إلى الواقع الّذي هو فيه. فإن كان كذلك يكون الإنسان مستفيداً من كلام الله، و إلاّ لا يستفيد منه و لا يحصل منه إلاّ على ما يضرّ إليه".[٣]

و تقريراً لما سبق فقد ذهب سبحاني إلى أنّ هذه المعرفة إنّما يتأتى للمرء عندما يكون عالماً بمعنى سورة الفاتحة، لأنّ هناك فرقاً أساسياً بين سورة الفاتحة وبين سائر سور القرآن سورة الفاتحة عندما تسمع و تقرأ، يحصل الشّعور بأنّ الإنسان هو الّذي يتكلّم بهذا الكلام، ويخاطب به ربّه. و بناءً عليه، يرى سبحاني بأنّ الإنسان لا يستطيع أن يستفيد من كلام الله ومن كتابه، إلاّ بعد أن يكون عالماً بمعنى سورة الفاتحة في حدّ وسعه، بحيث يجري سورة الفاتحة على لسانه و يفهم هذه السّورة، وعند ذلك يصلح لأن يكون مخاطباً لله و يُتوجّه إليه سائر الكلام. وأمّا قبل أن يعلم مراد و معنى هذه السّورة وقبل أن يكون مجرياً لهذه السّورة على لسانه، لا يصلح و لا يتأهّل لأن يكون متلقّياً لكلام الله و لا يستفيد منه.[٤]

فبحسب كلام سبحاني نفهم بأنّ سورة الفاتحة تمثل مدخلاً و طريقاً لعمليّة الفهم لكلام الله، فلابدّ أن يدخل الإنسان و يمرّ من هذا المدخل و الطّريق حتّى يحصل على أهليّة مناسبة لتلقّي كلام الله و فهمه. وهذا يعني أنّ فهم

(١) المصدر نفسه، الجزء الأوّل. الوقت: [١٦:١٨].

(٢) المصدر نفسه، الجزء الأوّل. الوقت: [١٦:٥١].

(٣) المصدر نفسه، الجزء الأوّل. الوقت: [١٨:٥٨].

(٤) أكّد سبحاني على أهميّة سورة الفاتحة في أكثر من مكان، في آثاره. انظر: مقدمه ى تفسير. مصدر سابق. (-٢٠). و (**بانگەواز و قۆناغەكانى بانگەواز**) مصدر سابق، (- ١٢- ١٣). و محاضرات أسباب النزول، مصدر سابق. الجزء الأوّل. الوقت: [٢٨:٤٢]. بتصرّف.

نصوص القرآن الكريم يحتاج اعداد وتأهيل فكري و نفسي، حتّى لا يصاب بسوء الفهم. و هذا التأهيل الفكري و النّفسي، يمكن أن نجده في شروط الإسلام أو صحّة الإعتقاد أو تحقق الإيمان فيمن يريد تفسير كتاب الله، لدى علماء التفسير وعلوم القرآن. (١)

والأهم من دوره في فهم كلام الله، فائدة معرفة سبب النّزول تتجاوز الفهم و النّظر إلى العمل و الدّعوة، حيث يقرّر سبحاني أنّه لا يمكن الدّعوة إلى سبيل الله كما ينبغي إلاّ بمعرفة أسباب النّزول بالطّريقة الّتي هو بيّنها.

يعتقد سبحاني أنّه بما أنّ رسالة القرآن خاتمة للرّسالات السّماويّة، و أنّها صالحة لكلّ زمان و مكان، فقد اكتملت هذه الرّسالة وقت نزولها باكتمال الواقعات و الظروف المقتضية لنزولها، فالواقع الّذي اقتضى نزول هذه الآية أو تلك السّورة، لابدّ أن يتكرّر فيما بعد ذلك إلى أن يرث الله الأرض و من عليها. أي ليس هناك سبب لنزول كلام من الله لم يحدث – ذاك السبب – في عهد نزول القرآن، و كلّ ما سيحدث بعد ذلك يكون صورة لما كان في عهد نزول القرآن. وقد تطرّق إلى هذه الفكرة كلّ من الشّيخ الدّهلوي والشّيخ محمّد الغزالي.(٢)

وفي ذلك العهد كان ينزل القرآن لمعالجة تلك الأحداث وذلك الواقع، وبما أنّه صالح لكلّ زمان ومكان، إذن فيكون القرآن معالجاً للأحداث الّتي تقع وستقع إلى يوم القيامة ، والّذي يتلو القرآن على النّاس و يدعو النّاس بكتاب الله وإلى سبيل الله، يجب أن يلاحظ هذا، أنّه حينما يقرأ القرآن على النّاس فإنّما يعالج الواقع، و لا يفعل شيئاً آخر.... إذن فيجب عليه أن يعرف واقع زمانه كي يعالجه، كما يجب على الطّبيب تشخيص المرض قبل أن يحاول معالجة المرض.

فالدّعوة، دعوة إلى الرّجوع عن غير سبيل الله إلى سبيل الله، دعوة إلى ترك واقع، و الإنتقال إلى واقع آخر، و القرآن معالجة للواقع، وكلّ سورة معالجة لبعض من الواقع، فيجب أن نشخّص الواقع الّذي يواجهنا أوّلاً، ثمّ نتأمّل في سورة أو في آية أو في بعض كلام الله لنعرف الواقع المقتضي لنزوله الأوّل، فإن اتفق هذا الواقع و ذاك (اتفاق الواقعين)، فقد وجدنا الدّواء. وبهذه الطّريقة ندرك العلاقة بين الأوضاع والوقائع المختلفة و بين أجزاء القرآن المتنوّعة. فليس أمر الدّعوة بأن ناخذ من القرآن ما نشاء لأي واقع و لأي ظرف من الظّروف، لأنّه قد يكون وضع المدعو متعلّقاً باليوم الآخر، و أنت تتلو عليه آيات متعلّقة بالأحكام، هو لم ينشأ فيه الشّعور بالمسؤوليّة و أنت تطالبه بالقتال في سبيل الله

(١) انظر: الزركشي. البرهان في علوم القرآن. مصدر سابق. (١٨٠/٢)، و السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. مصدر سابق. (٤٦٧/٢)

(٢) يقول الدهلوي: "القرآن كتاب كلّ عصر: وعلى كلّ فإذا قرأت القرآن فلا تحسب أنّ المخاصمة كانت مع قوم انقرضوا، كلاّ، بل ما من بلاء كان فيما سبق من الزّمان إلاّ وهو موجود اليوم بطريق الأنموذج كما ورد في الحديث الشّريف: ((لتتبعنّ سنن من كان قبلكم)) فمقصود القرآن بيان كليات تلك المفاسد، لا خصوص الحوادث". أنظر: الدّهلوي، الفوز الكبير. مصدر سابق. (-٤٢)، ويقول الشّيخ محمّد الغزالي: " أنّ المجتمع القديم الّذي نزل فيه القرآن هو مجتمع بشري، وأحواله صورة مما يعتري البشرية على امتداد الزّمن إلى انتهاء الحياة، فالحكم في أي صورة من هذه الصّور هو حكم بطبيعته ممتدّ، لأنّه ليس خاصّاً بهذه الصّورة بل هو يتجدّد مع كلّ صورة متشابهة لها إلى قيام السّاعة". انظر: الغزالي، الشّيخ محمد. كيف نتعامل مع القرآن. مدارسة أجراها معه: الأستاذ عمر عبيد حسنة. القاهرة: شركة نهضة مصر، ط٧، ٢٠٠٥. (-٨٠).

(مثلاً).[١]

الفرع الثّالث: كلّ سورة أو آية لها سبب نزول

يقول سبحاني: "إذا نظرنا إلى سبب النّزول بهذا العمق و بهذه الصّورة، عرفنا أنّه ليس هناك آية من الآيات إلاّ و لها سبب نزول، بخلاف ما هو موجود في كتب أسباب النّزول، حيث يُعدّون سبب النّزول قولاً من الأقوال صدر عن واحد، أو حدثاً صغيراً من الأحداث صدر عن واحد. ولذلك لأنّهم لم يجدوا لكلّ آية و لكلّ سورة ما يكون سبباً لنزولها في تلك الأسباب المرويّة، فلذلك تجد الكتب خالية عن بيان سبب النّزول لبعض السّور أو لكثير من الآيات. لكنّ سبب النّزول بهذا المعنى، الواقع الملائم لتلك الحقيقة، أو غير الملائم لتلك الحقيقة، المقتضي لأن يأتي كلام داعٍ إلى تغيير الواقع، أو يأتي كلام مُثَبِت على الواقع، سبب النّزول بهذا المعنى، لابدّ أن يكون موجوداً لكلّ كلمة من كلمات الهداية الرّبانيّة.[٢]

و لتوضيح ذلك يتحدّث عن سبب نزول آية الحجاب كمثال، حيث روي أنّ عمر بن الخطاب قال للرّسول (ﷺ): يدخل عليك كلّ برّ و فاجر....)) [٣]. وخلاصة ما يقوله سبحاني هو : أنّ هذه الآية (آية الحجاب) جاءت في سورة الأحزاب، وعندما يتعمّق الإنسان في سورة الأحزاب و يربط الأمر بما ينبغي أن يربطه به، يرى أنّ سبب نزول آية الحجاب أكبر من هذا بكثير، وذلك انّه بعد هجرة المسلمين إلى المدينة و تأسيس كيان إسلامي، و إعلان الإستقلال عن أهل الكتاب بتغيير وجهتهم في الصلاة إلى الكعبة، بدأت المحاربات ضدّ هذا الكيان الجديد، فحصلت غزوات و معارك، سواء بين المسلمين و المشركين، أو بين المسلمين و طوائف اليهود، حتى قبل العام الخامس من الهجرة.

و الملاحَظ في غزوات تلك الفترة، أنّ كلّ حزب أو جماعة، أقدمت على قتال المسلمين بمفردها، لكن في العام الخامس تنبّهت الأحزاب المعادية للمسلمين إلى أنّ العمل بالإنفراد لا ينفع، فلابدّ من اجتماع الأحزاب على محاربة هذا الكيان الجديد. وبعد اخفاق الأحزاب و هزيمتها، لم يقدم المشركون و لا اليهود على الهجوم على المسلمين بعد ذلك، بل كان الهجوم دائماً من المؤمنين.

فحينما وصل الأحزاب إلى ذلك الحدّ، يجتمعون و لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً، انصرفوا للعمل في ميدان آخر، وهو التوجّه إلى هدم كيان المؤمنين الخلقي، ينصرفون الى محاولات تهزّ أساس الخلق في المجتمع الإسلامي، و لذلك نجد سورة الأحزاب كلّها اهتمام بتقوية المؤمنين من الجانب الخلقي، وتأتي مسألة نقض قاعدة التبنّي في هذا السّياق، لأنّ

---

(١) سبحاني. مقدمەی تفسير ، مصدر سابق، (- ٢٦- ٢٨). و (**بانگەواز وقۆناغەكانی بانگەوازكردن**)، مصدر سابق، (- ١١٠). و محاضرات أسباب النّزول. مصدر سابق، الجزء الثاني، الوقت: [١٣:٠٠- ٢٠:٠٠].

(٢) محاضرات أسباب النزول، الجزء الأوّل، الوقت: [٦٣:٥٢- ٦٥:٠٣]. بتصرّف يسير.

(٣) الحديث ورد بصيغ مختلفة، رواه البخاري في صحيحه: (كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة) رقم الحديث: (٤٠٢)، مصدر سابق. (٨٩/١)، و صيغة سبحاني قريبة من صيغة الطبري: عن انس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب: قلت لرسول الله (ﷺ) لو حجبت عن أمهات المؤمنين، فإنّه يدخل عليك البرّ و الفاجر، فنزلت آية الحجاب. أنظر: الطبري، جامع البيان. مصدر سابق. (٣١٢/٢٠).

الشّخص المتبنّى لا يشعر بالحرمة تجاه النّساء الموجودات في البيت، كما يشعر بها الإبن تجاه والدته، و من الممكن أن يتّخذ ذلك ذريعة من جانب الأعداء لضرب كيان المؤمنين الخلقي من داخل بيوتهم. وفي هذا السّياق تنزل آيات الحجاب.(١)

الفرع الرابع: بعض ملاحظات سبحاني على كتب أسباب النزول:

في ثنايا كلامه حول أسباب النّزول، تطرّق سبحاني إلى ذكر ملاحظات عديدة حول الكتب المرويّة لأسباب النّزول، أو بالأحرى الرّوايات نفسها، إذ يرى أنّ كثيراً من الرّوايات الموجودة في تلك الكتب، لا يعين الإنسان في فهم القرآن، لكنّه في الوقت نفسه، أوصى بالرّجوع إليها، حتّى لا يفوته ذلك القليل الصّالح الّذي يشير إلى الواقع القائم المقتضي لنزول الآيات و السّور. وقد أشار في هذا المجال إلى كتاب السّيوطي و كتاب الواحدي،(٢) و أثنى على الأوّل و وصفه بأنّه أجمع الكتب في هذا المجال.(٣) و نُقل عنه أنّه أبدى استغرابه من محقّق كبير كالشّاطبي، تأكيده على ضرورة معرفة أسباب النّزول كلازمة من لوازم فهم القرآن، و انّه كيف لم ينتبه إلى كون معظم روايات أسباب النّزول ضعيفة أو متضاربة، لا يعتدّ بكثير منها إلاّ بعد تفحّص شديد و تحقيق علمي يقتضيه شأن استخراج الأحكام من الآيات.(٤)

و يمكن تلخيص ملاحظاته في النّقاط الآتية:

١- إنّ كثيراً مما قد ذكرت في تلك الكتب ليست بياناً لسبب النزول، مثلاً يقال إنّ قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ {الحجر: ٤٧} قد نزلت في طلحة و زبير و علي، وهم حصل بينهم غلّ في وقعة الجمل.(٥) و

(١) تحدّث سبحاني عن هذا الأمر بالتّفصيل، يمكن الرّجوع إلى: محاضرات أسباب النّزول، الجزء الأوّل، الوقت: [٠٥:٠٥- ٠٢:٠٩٠].

(٢) يقصد (لباب النّقول للسّيوطي، و أسباب النّزول للواحدي)

(٣) محاضرات أسباب النّزول، الجزء الثاني، الوقت: [٥٠:٢٠]. و الوقت: [١١:٢٨].

(٤) عبدالعزيز، عمر. العلاّمة ناصر سبحاني وجهوده العلميّة و الإصلاحيّة. مصدر سابق. (- ٣١٦).

(٥) لم أطّلع على ما يقوله سبحاني، لكن الطبري ذكر رواية لعلي عن قتادة أنّه قال: قال علي رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير، من الذين قال الله تعالى فيهم: (وَنزعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ) ، أنظر: تفسير الطبري، مصدر سابق. (١٢/ ٤٣٨). و أورده السّيوطي في الدّر المنثور عن طريق آخر بلفظ آخر، أنظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الدرّ المنثور في التّفسير بالمأثور. بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ. (٨٥/٥). لكن هناك رواية أخرى حول آية {وَاتَّقوا فتْنَة لَا تصيبن الَّذين ظلمُوا مِنْكُم خَاصَّة} أنّ الحسن قَالَ : نزلت في علي وَعثمان وطلحة والزّبير، أنظر: الدر المنثور، المصدر نفسه.(٤/ ٤٦). كما أورد الثعلبي حول الآية نفسها عن الحسن أيضاً أنّها: نزلت في عليّ وعمار وطلحة والزبير، قال الزبير بن العوّام: يوم الجمل لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما أرنا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها. أنظر: الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. الكشف والبيان عن تفسير القرآن. تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي. بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي، ، ط١، ٢٠٠٢ م. (٤/ ٣٤٤).

من الواضح أنّ السّورة قد نزلت في حياة الرّسول (ﷺ) و في العهد المكيّ، و وقعة الجمل حصلت بعد وفاته بسنين كثيرة. ولكن هناك وجه لصحّة هذا القول، لكنّ كتابته في أسباب النزول خطأ، قائل هذا القول أراد أن يقول أنّ هؤلاء من مصاديق هذه الآية، قد حصل بينهم غلّ و لكن سينزع الله الغلّ من صدورهم في الجنّة، و يكونون إخواناً متقابلين. فالآية تصدق عليهم كما تصدق على غيرهم، لا أنّ هذه الحادثة حدثت، فنزلت هذه الآية.

أو يقال: إنّ حادث الفيل سبب لنزول سورة الفيل،(١) و حادث الفيل وقع قبل نزول سورة الفيل بأكثر من أربعين عاماً، فبدل أن يقال: سورة الفيل فيها إشارة إلى ذلك الحادث، يقال: هذا الحادث سبب لنزول هذه السّورة.(٢)

٢- أنّ كثيراً من تلك الرّوايات ليست منقّحة وليست ما يثق الإنسان بها، مثلاً: ترى أسباب النزول للسيوطي أغلبها مرويّة إبن أبي حاتم و ابن جرير، ولم يلتزم إبن أبي حاتم الدّقة فيما يرويه، و قليل منها في موجودة في البخاري و مسلم أو في غيرهما. (٣)

٣- أنّ كثيراً من تلك المذكورات كأسباب نزول، استنباطات لبعض مفسّري السّلف ذكروها في مجال التّفسير، فنقلوها بعد ذلك كأسباب نزول. مثلاً: هناك قراءة غير معتبرة -غير معتد بها- لآية ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ {الرّوم: ٢} قراءة أخرى: [غَلَبت الرّوم] بفتح الغين واللام. ولأنّهم نظروا في هاتين القراءتين جاءوا بسببين: يقول السّيوطي: غُلِبت الرّوم نزلت قبل الهجرة بسبع سنين. وبعد ذلك يقول: و قريء غَلبت الرّوم : و نزلت هذه الآية في العام الثّاني من الهجرة.(٤)

و من المعلوم أنّه إنّما نزل شيء واحد، نزل هذه الآية الّتي فيها هذه الكلمة المركّبة من {غ، ل، ب} و لابدّ أنّ هذه الكلمة قد قريء بصورة من الصّور ، و كان للواقع المقتضي لنزوله شيء قد تحقّقت، حينما نزلت هذه الآيات الّتي فيها هذه الكلمة.(٥)

أمّا الرّوايات نفسها، فيرى سبحاني أنّ بعضاً منها لا تعين الإنسان على فهم الآيات، حيث ذكر أكثر من مرّة أنّ الرّوايات الّتي تقول بنزول آية ما في شخص ما، لا يجني الإنسان منها نفعاً، لأنّ ما يراه مفيداً و نافعاً هو الخبر الّذي يدلّك إلى الواقع والحال والمقتضى لنزول الآية، لا تسمية اشخاص معيّنين نزل فيهم آية أو سورة.(٦)

---

(١) ذكره السّيوطي تعليقاً على الواحدي، أنظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. لباب النقول في أسباب النزول. ضبط وتصحيح: أحمد عبد الشافي. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، (بلا عدد الطّبع والتأريخ). (٤/١).

(٢) سبحاني. محاضرات أسباب النّزول. مصدر سابق. الجزء الثاني، الوقت: [٢١:٢٢- ٢٣:٢٨].

(٣) المصدر نفسه. الجزء الثاني، الوقت: [٢٣:٤٢- ٢٤:١٨].

(٤) ذكر السّيوطي للرّواية الآولى: "... لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين..." و للرواية الثانية "...أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة..."، و لم يذكر قوله: قبل الهجرة بسبع سنين، ولا قوله : في العام الثاني من الهجرة. أنظر: السّيوطي. لباب النقول في أسباب النزول، مصدر سابق. (١٥٢/١).

(٥) سبحاني. محاضرات في أسباب النّزول. الجزء الثاني. الوقت: [٢٤:٢٠- ٢٧:٢٧].

(٦) المصدر نفسه. الجزء الثاني. الوقت: [٠١:٢٠] وكذلك [٢١:١٧].

الخاتمة

أهمّ النتائج

في ختام هذا البحث الخاص بآراء العلاّمة ناصر سبحاني حول مسالة (أسباب النّزول)، نقوم بتثبيت بعض الملاحظات والاستنتاجات كالتّالي:

١- أوّل ما بدأ به سبحاني حول أسباب النّزول و ارتكز عليه، تصوّره للّغة و الكلام، إذ أنّ هناك حقيقة خلف الكلام و واقع أمامه، والعلاقة بين الحقيقة و الواقع تتمّ عبر الكلام، فالحقيقة كما تظهر في الكلام، ذات طابع توجيهي إرشادي، لأنّ الواقع إذا كان ملائم للحقيقة، فيأتي الكلام لتأييده، و إذا كان غير ملائم للحقيقة فيأتي الكلام لرفضه أو للدّعوة إلى تغييره.

لذلك فالأساس الّذي بني عليه سبحاني فكرته، يستدعي التقويم و الترميم، فالحقائق الفلسفيّة والرّياضيّة البحتة، لا تصنع مع الواقع علاقات ساخنة بالرفض أو التأييد، لأنّ الكلام المعبّر عنها كلام محايد بارد، وكذلك بالنسبة للحقائق الشّعوريّة الشّخصيّة، فالكلام المنبثق منها لا يريد تأييد الواقع و لا رفضه، بل هو مجرّد تعبير مطلق عن حالات شخصيّة خياليّة. و من الممكن هنا أن نقول إذا كان المقصود من الحقيقة هو الحقيقة الإلهية، ومن الكلام الوحي، فهذا يضيّق دائرة البحث و النّقاش، و أظنّ أنّه هو المقصود الأصلي لدى سبحاني.

٢- خرج سبحاني بتعريفه لأسباب النّزول- كونها الواقع الملائم أو غير الملائم المقتضي لأن ينزل كلام من الله لتأييده أو للدّعوة إلى تغييره- عن علم اسباب النّزول المعهود في علوم القرآن، فليس ما يطرحه سبحاني حول هذا الموضوع إضافة إلى ما بناه السّابقون، بل يؤسّس سبحاني لشيء جديد. لأنّ أساس علم أسباب النّزول هو معرفة الحوادث و الوقائع الّتي نزلت الآيات بشأنها زمن الرّسول (ﷺ) بناءً على نقل صحيح. لكنّ سبحاني يتحدّث عن شيء أوسع، و هو معرفة الواقع أو الظّرف الذي يقتضي نزول آية أو آيات، من خلال الآيات نفسها، و الإستفادة من الروايات الصّحيحة الواردة في أسباب النّزول بالمعنى المعهود. فإذا كان العلماء يتحدّثون عن الوصول إلى المسبب من خلال السبب، فسبحاني يتحدّث عن الوصول إلى السبب من خلال المسبب.

٣- على الرّغم من نقده وملاحظاته لكتب و روايات أسباب النّزول، لكنّه وصل إلى فكرته في هذا المجال من خلال معرفة الوقائع التاريخيّة لنزول القرآن و سيرة الرّسول (ﷺ) ، يبدو هذا من خلال اهتمامه بمراحل الدّعوة و بالعهد المكي و المدني، وذكر تفصيلات حول بعض الوقائع والأحداث.

٤- بخلاف بعض المعاصرين الّذين يتحدّثون عن تأريخيّة آيات القرآن الكريم من باب أسباب النّزول، يرى خلود القرآن الكريم من نفس الباب، حيث قرّر أنّ الآيات وإن نزلت على أحداث تأريخيّة أوّل الأمر، لكن تلك الأحداث تعتبر صورا لما يمكن أن تحدث ما تشبهها على مرّ الزّمان.

٥- الجانب العملي في فكرة سبحاني شديد الوضوح، أذ أنّ سبب النّزول عنده مرتبط بالدّعوة، والدّعوة إنما تتمّ عبر مراحل، كلّ مرحلة تستدعي شيئاً خاصّاً بها، و لذلك ترى سبحاني يبرز الفكرة العلاجيّة للدّعوة. و يقرّر بأن القرآن جاء لمعالجة الواقع، و بما أنّ كلّ واقع لا يستجيب لتناول كلّ الأدوية مرّة واحدة، وانّما يحتاج لمعالجة خاصّة و دواء خاصّ. و على الدّاعي إلى الله أن يعرف الواقع أوّلاً، ثمّ يعالجه ثانياً. و من هذا الباب يدخل في موضوع أهميّة معرفة أسباب النّزول، وخاصّة من قبل الدّعاة، لأنّها أساس الدّعوة.

٦- بناءً على تعريفه الخاصّ لأسباب النّزول، رأى أنّ كلّ الايات والسّور لها سبب نزول و لا توجد سورة أو آية إلاّ و لها سبب نزول، فيخالف بهذا القول راي غالبية العلماء القائلين بأنّه لا توجد لكلّ الايات سبب نزول بل منها ما نزلت ابتداءً دون سبب.

٧- يقترب سبحاني في أفكاره هذه من بعض المفكرين و الدّارسين المطّلعين على شيء من النّظريات والأفكار الجديدة في حقل الفلسفة والعلوم الإنسانيّة، لكنّه يختلف عنهم كونه رجلاً ميتافيزيقيّاً في المنهج، يتحرّك من الأعلى إلى الأسفل، لا من الأسقل إلى الأعلى، فهو يأتي من القرآن إلى الواقع و ليس العكس. بينما ترى أولئك المفكرين يتحرّكون من الواقع إلى النّصّ، و بين المنهجين فرق لا يخفى.

٨- تطرّق سبحاني إلى مسائل متنوّعة في بحثه لأسباب النّزول، و كلّ منها يصلح أن تكون موضوعاً مستقلاً للبحث و الدراسة، فمثلاً موضوع الحقيقة و الواقع و الكلام، يمكن دراسته في نظرية التّواصل في فلسفة اللغة الحديثة، و يمكن دراسته أيضاً في نظرية المعرفة. كما أنّ تطرّقه للمراحل التطوريّة للإنسان و تطوّر الدّين معها، من المواضيع المهمّة في فلسفة الدّين و علم الإجتماع الدّيني.

٩- في كيفية معرفة اسباب النّزول اعتمد على السّياق و التفسير الموضوعي، و هو التعمّق و التّأمل في السّورة أو الآية وفي سياقها و ربطها بما حولها من الآيات و السّور، و بهذه الطريقة يحاول كشف السّبب. فهو يتحدّث عن سياقات ثلاث: السّياق التأريخي المعاصر لنزول القرآن الكريم المأخوذ من أسباب النّزول، السّياق القرآني معنى و دلالة من خلال التّفسير الموضوعي، السّياق الواقعي المعاصر للمفسّر والدّاعي.

المصادر و المراجع

أوّلاً. كتب التّفسير:

١- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر (بلا عدد الطّبع)١٩٨٤م.

٢- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. الكشف والبيان عن تفسير القرآن. تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور. مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي. بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي، ، ط١، ٢٠٠٢ م.

٣- سبحاني، ناصر. مقدمه ى تفسير برخى أز سوره هاى قرآن. تهران: نشر احسان، **چاپ**١، ٢٠١٦م.

٤- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. الدرّ المنثور في التّفسير بالمأثور. بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ.

٥- الطّبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠ م.

٦- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤م.

ثانياً: كتب علوم القرآن:

٧- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد الحرّاني. مقدمة في أصول التفسير. بيروت–لبنان: دار مكتبة الحياة، (بلا عدد الطبع)، ١٩٨٠م.

٨- الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم. الفوز الكبير في أصول التفسير. دمشق: دار الغوثاني للدراسات القرآنية. ط١، ٢٠٠٨.

٩- الرشيد، عمادالدين محمد. أسباب النّزول وأثرها في بيان النّصوص. دار الشّهاب،(بلا عدد الطبع) ١٩٩٩م.

١٠- الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. المفردات في غريب القرآن. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق- بيروت: دار القلم والدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ .

١١- الزّرْقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي. بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٥م.

١٢- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٩٥٧ م.

١٣- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (بلا عدد الطّبع) ١٩٧٤م.

١٤- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. لباب النقول في أسباب النزول. ضبط وتصحيح: أحمد عبد الشافي. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، (بلا عدد الطّبع والتأريخ).

١٥- الصالح، صبحي. مباحث في علوم القرآن. بيروت- لبنان: دار العلم للملايين، ط٢٤، ٢٠٠٠م.
١٦- العراقي، محمّد بن أسعد. أسباب النّزول و القصص الفرقانيّة. دراسة و تحقيق: د. عصام أحمد أحمد غانم. السّعودية- الرّياض: مكتبة الرّشد- ناشرون، ط١. (بلا تأريخ).
١٧- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر. العجاب في بيان الأسباب. تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس. السّعودية- الدّمام: دار ابن الجوزي. (بلا عدد الطّبع والتأريخ).
١٨- المزيني، خالد بن سليمان. المحرّر في أسباب نزول القرآن. السعودية – الدمام: دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٩ هـ.
١٩- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري. أسباب النزول. تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان. الدّمام: دار الإصلاح، ط٢، ١٩٩٢ م.
٢٠- الوادعي، مُقبل بن هادي. الصحيح المسند من أسباب النزول، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط٤، ١٩٨٧م.

ثالثاً: كتب الحديث وعلومه:

٢١- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد الحرّاني. منهاج السنة النبوية. تحقيق: محمد رشاد سالم. السّعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٩٨٦ م.
٢٢- ابن الصلاح الشهرزوري، عثمان بن عبد الرحمن أبوعمرو تقي الدين. كتاب علوم الحديث (المعروف بمقدمة ابن الصلاح). تحقيق: نور الدين عتر. سوريا: دار الفكر- بيروت: دار الفكر المعاصر، (بلا عدد الطّبع)، ١٩٨٦م.
٢٣- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) و سننه و أيّامه. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة. ط١، ١٤٢٢هـ..
٢٤- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، (بلا عدد الطبع و التأريخ).

رابعاً: كتب اصول الفقه

٢٥- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي. الموافقات في أصول الشّريعة. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧م.

خامساً: كتب اللغة:

٢٦- ابن منظور الإفريقى، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين. لسان العرب. بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤ هـ .
٢٧- الرّازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. مختار الصحاح. تحقيق: يوسف الشيخ محمد. بيروت – صيدا: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ط٥، ١٩٩٩م.
٢٨- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨، ٢٠٠٥ م.

٢٩- مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. القاهرة: مكتبة الشّروق الدّولية، ط٤، ٢٠٠٤م.

سادساً: كتب عامّة:

٣٠- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (المعروف بمقدمة ابن خلدون). تحقيق: خليل شحادة. بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٩٨٨م.

٣١- إيزوتسو، توشيهيكو. الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرّؤية القرآنيّة للعالم. ترجمة وتقديم : د.هلال محمّد الجهاد. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٧.

٣٢- أحمدي، بابك. ساختارو تأويل متن. تهران: نشر مركز، **چاپ** ٧، (بلا تأريخ).

٣٣- البنجويني، أبوبكر محمد أمين. الشيخ ناصر السبحاني و جهوده العلمية والدعوية. وكتابه (الولاية والإمامة) نموذجاً. السليمانيّة: مطبعة بينايي، ط١، ٢٠٠٩م. وهو في الأصل رسالة ماجستير في الدّراسات الإسلاميّة، في بغداد، سنة ٢٠١٠م.

٣٤- خضر، لقمان صمد. آراء ناصر سبحاني في الحديث وعلومه، رسالة ماجستير في قسم العلوم الإسلامية بمعهد العلوم الاجتماعيّة/ جامعة يوزنجو ييل. (وان- تركيا) سنة ٢٠١٦. غير منشور.

٣٥- **سوبحانی، ناصر، بانگەوازو قۆناغەکانی بانگەوازکردن. ئا: ئارام محمد و سەروەت عبدالله. سلێمانی، چاپی یەکەم، ٢٠١١ز.**

٣٦- عبدالعزيز، عمر. العلامة ناصر سبحاني وجهوده الدّعويّة والإصلاحيّة. أطروحة دكتوراه في كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلاميّة، سنة ٢٠١٣م.

٣٧- عبدي، عبدالله عبدالعزيز. (سيرة علامة كوردستان الكبير ناصر سبحاني) **زانای گەورەی کوردستان مامۆستا ناصری سوبحانی. سلێمانی: (بەبێ ناوی چاپخانە) چاپی یەکەم، ٢٠٠٨ز.**

٣٨- الغزالي، الشّيخ محمد. كيف نتعامل مع القرآن. مدارسة أجراها معه : الأستاذ عمر عبيد حسنة. القاهرة: شركة نهضة مصر، ط٧، ٢٠٠٥.

سابعاً: المجلات والدّوريات:

٣٩- **ئەڵماس، نوعمان موحەمەد. تەئویل و رۆحی قورئان. گۆڤاری هەژان. سلێمانی: (ژ ١٧-١٨) ٢٠٠٥ز.**

ثامناً: تسجيلات صوتيّة:

٤٠- سبحاني، ناصر. محاضرات في أسباب النزول. كرمانشاه- إيران، مسجّلة على شريطين. (بلا تأريخ): الزّمن المستغرق للمحاضرة بالكامل: (٠٢:٥٦:٥٣) ساعتان و ست و خمسون دقيقة و ثلاث و خمسون ثانية. وقد تمّ نقله إلى جهاز الكمبيوتر في جزءين.